

التلمذة الحقيقية تأليف وليم ماكدونالد

تعريب طانيوس زحلاوي

كنيسة الأخوة

أخذت بإذن رسمي من صفحة بيت الله. جميع الحقوق محفوظة لمكتبة الإخوة ولا يجوز إعادة نشر أو طباعة إي من الكتب أو المقالات بأي طريقة طباعية أو إلكترونية أو وضعها على الإنترنت إلا بإذن خاص ومكتوب من الإخوة وصفحة بيت الله. يمكنك أن تحتفظ بالكتب أو المقالات للاستخدام الشخصي فقط وليس بهدف بيعها أو المتاجرة بها بأي طريقة كانت ومهما كانت الأسباب

منشورات العالم العربي

المحتويات

	المقدمة
	شروط التلمذة
	ترك كل شيء
	عقبات في سبيل التلمذة
	التلاميذ هم وكلاء
	الغيرة
	الإيمان
	الصلاة
	الحرب
	السيادة على العالم
	التلمذة و الزواج
	حساب النفقة
	ظل الاستشهاد
	مكافآت التلمذة الحقيقية

المقدمة

تبدأ طريق التلمذة لحظة يولد المرء ثانية، ولا بد، لذلك، من حدوث ما يلي:

١- أن يعترف الإنسان بأنه خاطئ وأعمى وعريان أمام الله.

٢- أن يقر بأن أعماله الصالحة وأخلاقه الرفيعة عاجزة عن أن تخلصه.

٣- أن يؤمن بأن الرب يسوع المسيح مات على الصليب بديلا عنه.

٤- أن يعترف بالمسيح ربًا ومخلصا وحيدا له، وذلك بإيمان حقيقي عميق.

على هذا النحو يصير الإنسان مسيحيا حقا. وجدير بنا أن نشدد على هذا

منذ البداية. يعتقد الكثيرون أنهم يصبحون مسيحين إذا هم عاشوا حياة مسيحية. كلا

البتة، فعلى المرء أن يصير مسيحيا قبل أن يتمكن من أن يعيش الحياة المسيحية.

أن حياة التلمذة التي يعرضها هذا الكتاب هي حياة مثالية، وليس لدينا القدرة

على عيشها، إلا بقوة إلهية. فلا نستطيع اقتبال القوة التي تقدرنا على الاقتداء بالمسيح

إلا إذا ولدنا ثانية .

فقبل شروحك في القراءة. أسأل نفسك:

-هل سبق لي أن ولدت ثانية؟ و هل صرت ابنا لله بالإيمان بالمسيح يسوع،

وقبوله مخلصا لي؟

إذا كان جوابك بالنفي، فاقبله الآن ربًا ومخلصا، مصمما على إطاعته في كل

ما يوصيك به، مهما كلف الأمر.

١ شروط التلمذة

المسيحية الحقيقية هي تسليم كلي تام للرب يسوع المسيح.

لا يبحث المخلص عن رجال ونساء يعطونه أوقات فراغهم المسائية، أو عطلة نهاية الأسبوع، أو سني تقاعدهم، بل يبحث عن أناس يعطونه المكان الأول في حياتهم. قال ه. ا. ايفان هوبكنز: "يطلب المسيح اليوم كما كان يطلب دائما، لا جماهير تتبعه على غير هدى، بل أفرادا من الرجال والنساء يتبعونه عن ثقة وأدراك، مستعدين لأن يسيروا في طريق إنكار النفس الذي سار هو فيه من قبلهم."

وليس إلا التسليم غير المشروط يصلح أن يكون تلبية لاثقة لذيحة المسيح على الجلجثة. فمحبته الإلهية الفائقة لا يمكن أن ترضى بأقل من تسليمه نفوسنا وحياتنا وكل ما لنا.

يطلب الرب يسوع مطالب عسيرة من الذين يتبعونه في التلمذة، مطالب تغفل وتهمل في هذا العصر الذي يتسم بالتنعم والرفاهية. فكثيرا ما نظرنا إلى المسيحية كمهرب من جهنم وكضمان للسماء! وشعرنا بعد ذلك بأنه لنا الحق في أن نعمم بأطيب ما تقدمه الحياة. ثم أننا نعلم أن هنالك ثمة آيات كثيرة في الكتاب المقدس تتكلم عن التلمذة، ولكن يصعب علينا أن نوفق بينها وبين أفكارنا في المسيحية وماذا ينبغي أن تكون.

لا نستغرب أن يبذل الجنود حياتهم حبا بالوطن، ولا نستغرب أن يبذل الناس حياتهم من أجل دوافع سياسية. وأما أن تنطوي حياة تابع المسيح على "الدم والعرق والدموع" ففكرة بعيدة عن أذهاننا.

ألا أن كلام المسيح واضح وقاطع وصريح، لا يترك مجالاً لسوء الفهم أو سوء التأويل، بشرط أن تقبل معناه الصريح الواضح. وهاهي شروط التلمذة كما وضعها مخلص العالم نفسه.

١- محبة قصوى للمسيح

"أن كان أحد يأتي إلي ولا يبغض أباه وأمه وامراته وأولاده وأخوته وأخواته حتى نفسه أيضاً فلا يقدر أن يكون لي تلميذاً" (لوقا ١٤ : ٢٦).

هذا لا يعني أن نبغض أقاربنا أو نحقد عليهم، بل يعني أن محبتنا للمسيح يجب أن تكون قوية جداً بحيث تبدو كل محبة أخرى وكأنها بغض إذا ما قورنت بها. وفي الواقع أن أصعب عبارة في هذا الفصل هي قوله "حتى نفسه أيضاً" فإن محبة النفس من أشد العقبات صعوبة في سبيل التلمذة. فما لم نضع حياتنا نفسها له ونسلمها ليده تمام التسليم لا نصل إلى المكان الذي يريده لنا.

٢- إنكار النفس

"أن أراد أحد أن يأتي ورائي فلينكر نفسه... (متى ١٦ : ٢٤)."

ليس إنكار النفس كإماتة الجسد. إماتة الجسد تعني: الامتناع عن بعض الأطعمة أو بعض الملذات أو التخلي عن بعض الممتلكات، وأما إنكار الذات فيعني إخضاع النفس وتسليمها لسيادة المسيح فتتخلى عن حقوقها وسلطانها، وتتنازل عن عرشها. وقد عبّر عن ذلك هنري مارتن بقوله: "لا تسمح يا رب أن تكون لي إرادة من ذاتي، ولا أن اعتبر سعادتي الحقيقية متوقفة، حتى في أقل درجاتها، على شيء يأتي من الخارج، بل أن اعتبرها متوقفة بالكلية على طاعتي التامة لمشيتك."

٣- حمل الصليب طوعا واختيارا

"أن أراد أحد أن يأتي ورائي فلينكر نفسه ويحمل صليبه..." (متى ١٦: ٢٤)

ليس الصليب ضعفا جسمانيا، ولا ألما نفسانيا، ولا شيئا مما يصيب البشر عامة، بل هو طريق نختاره بأنفسنا طوعا، وأن كان يعد في نظر العالم هوانا وعارا. فالصليب يمثل العار والاضطهاد والضيق، الذي صبه العالم على ابن الله وما زال يصبه على جميع الذين يختارون أن يقفوا ضد التيار. وفي مقدور أي مؤمن أن يتجنب الصليب إذا أراد، وذلك بمشأته العالم ومجاراته لطرقه.

٤- أنفاق الحياة في اتباع المسيح

"أن أراد أحد أن يأتي ورائي فلينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعني" (متى ١٦

: ٢٤)

لكي نفهم هذا علينا أن نسأل أنفسنا هذا السؤال: "ما الذي ميّز حياة الرب يسوع؟". لقد كانت حياة المسيح حياة الطاعة لإرادة الله، حياة في قوة الروح القدس، حياة خدمة مضحية لاجل الآخرين، حياة صبر وطول أناة في مواجهة أشد الآلام وأفظع الإساءات. حياة غيرة وبذل وضبط نفس ووداعة ولطف وأمانة وولاء، فقد ظهر فيها ثمر الروح المذكور في غلاطية ٥: ٢٢، ٢٣. فأن أردنا أن نكون تلاميذه مُظهرين ثمر حياة التشبه به في حياتنا (يوحنا ١٥: ٨) فعلينا أن نسلك كما سلك هو.

٥- محبة قوية لجميع تابعي المسيح

"بمذا يعرف الجميع أنكم تلاميذي أن كان لكم حب بعضا لبعض " (يوحنا ١٢ : ٣٥).

هذه هي المحبة التي تحترم الآخرين أكثر من النفس. المحبة التي تستر كثرة من الخطايا. التي تتأني وترفق. المحبة التي لا تتفاخر ولا تنتفخ. المحبة التي لا تطلب ما لنفسها، ولا تحتد، ولا تظن السوء، وتحمّل كل شيء، وتصدق كل شيء، وترجو كل شيء، وتصبر على كل شيء (١ كورنثوس ١٣ : ٤-٧). ودون هذه المحبة تصبح التلمذة زهدا باردا، وتنسكا طقسيا لا قيمة له

٦- ثبات دائم في كلمته

" أن تثبت في فبالحقيقة تكونون تلاميذي" (يوحنا ٨ : ٣١).

لأن التلمذة الحقيقية تتميز بالاستمرار والدوام، فما أسهل أن نبدأ حسنا، وأن تشرق منا ومضات من المجد والبهاء بين آن وآخر، إنما محك الحقيقة هو الثبات إلى النهاية. وليس أحد يضع يده على المحراث وينظر إلى الوراء يصلح للمكوث الله (لوقا ٩ : ٦٢). لهذا فإن الطاعة المتقطعة لوصايا الكتاب المقدس، والأتباع الجزأ لتعاليمه، لا يكفيان ولا ينفعان. لأن المسيح يطلب من كل اتباعه طاعة دائمة، متواصلة على غير انقطاع ودون سؤال، كما تعبر عن ذلك الترنيمة التي مطلعها:

صممت أبي اتبع يسوع
اتبع يسوع بلا رجوع
احفظني إلهي من الرجوع
وضعت يدي على المحراث

احفظني من الرجوع

٧- ترك كل شيء في سبيل اتباعه

"فكذلك كل واحد منكم لا يترك جميع أمواله لا يقدر أن يكون لي تلميذا"
(لوقا ١٤ : ٣٣).

ربما يكون هذا هو أقل الشروط تطبيقا بوجه عام. وقد يكون هو أثقل جميع شروط التلمذة على آذان الناس. وعلماء اللاهوت يستطيعون بمهارتهم أن يعرضوا لك ألف سبب ليبرهنوا أن هذا العدد لا يعني ما يقوله. أما التلاميذ البسطاء فيقبلونه بتمامه، عالمين أن الرب يسوع كان يعلم ويعني ما يقول. فما معنى القول: "يترك جميع أمواله"؟ معناه ترك كل ما نملك ماديا، مما لا يكون ضروريا جدا لنا، ليستخدم في نشر الإنجيل. ومن يترك الكل لا يصبح متعطلا متسكعا في الشوارع، لكنه يشتغل بمجد ليوفر لنفسه وعائلته ضروريات الحياة ولوازمها العادية. لكن ما دامت رغبة حياته الملحة هي في امتداد عمل المسيح، فهو يضع كل شيء يزيد عن حاجاته الضرورية في عمل الرب، ويترك أمر المستقبل لله. وهو إذ يطلب أولا ملكوت الله وبره، يؤمن أنه لن يعوزه طعام ولا لباس. ولا يستطيع بضميره ووجدانه أن يحتفظ بالمال الذي يزيد عن حاجته، بينما النفوس تملك لعدم معرفتها بالإنجيل ولن يصرف حياته في جمع أموال سيأخذها إبليس حينما يعود المسيح ليخطف قديسيه. بل يريد أن يطيع وصية الرب التي تأمره بأن لا يكنز لنفسه كنوزا على الأرض. وهو في تركه لكل شيء، يقدم ما لا يمكنه أن يحتفظ به، وما قد كف عن حبه والتعلق به.

هذه، إذن هي الشروط السبعة للتلمذة المسيحية. وهي صريحة وقاطعة. وأن الكاتب ليدرك أنه، وهو يضع هذه المبادئ والشروط، يحكم على نفسه أنه عبد بطل. لكن هل نخفي حق الله، بسبب عدم أمانة شعبه؟ أليس حقا أن الرسالة هي، دائما وأبدا،

أعظم من حاملها؟ أليس الصحيح واللائق أن يكون الله صادقا وكل إنسان كاذبا؟ أما يحق لنا أن نقول مع أحد القديسين القدامى : "لتكن أراذتك ولو هلكت أنا في سبيل ذلك؟"

وإذ نعترف بفشلنا الماضي فلنواجهه بشجاعة مطالب المسيح منا ونسع، من الآن فصاعدا، أن نكون تلاميذ حقيقيين لربنا الجيد!

سيدي قدني إلى المدخل
المسن نفسي وفي قلبي افعل
قيودك حرية وكلها أمل
أعني يا سيدي معك لأعمل
أعني سيدي لأطيع واحتمل

٢ ترك كل شيء

"فكذلك كل واحد منكم لا يترك جميع أمواله لا يقدر أن يكون لي تلميذا"
(لوقا ١٤ : ٣٣).

إذا أراد أحدنا أن يكون تلميذا للرب يسوع فعليه أن يترك الكل. فكلمات المخلص هذه واضحة المعنى لا تقبل مواربة ولا تحويرا. ومهما كان اعتراضنا على هذا الطلب "المتطرف" ومهما ثرنا على هذه السياسة "المستحيلة" "غير الحكيمة"، تبقى الحقيقة ناصعة قاطعة، وهي أن كلمة الرب صريحة حتمية وهي تعني ما تقول: ولنلاحظ بادئ ذي بدء أنه يجب علينا أن نجابه هذه الحقائق الصادقة الهامة :

أ- أن يسوع لم يقدم هذا المطلب إلى نخبة مختارة من الخدام المسيحيين بل قال "كل واحد منكم .."

ب- ولم يقل إننا يجب أن نكون راغبين في أن نترك الكل بل قال "كل واحد منكم لا يترك ..."

ج- ولم يقل أننا يجب أن نترك جزءا من أموالنا، بل قال "كل واحد منكم لا يترك جميع أمواله ..."

د- ولم يقل بنوع من التلمذة المخففة التي تيسر للإنسان الذي يتمسك بأمواله وكنوزه، بل قال "... لا يقدر أن يكون لي تلميذا".

وفي الحقيقة يجب ألا ندهش لهذا المطلب الضروري الملح، كما لو كان المطلب الوحيد من نوعه في الكتاب المقدس كله.

ألم يقل الرب يسوع: "لا تكنزوا لكم كنوزا على الأرض حيث يفسد السوس والصدأ وحيث ينقب السارقون ويسرقون. بل اكنزوا لكم كنوزا في السماء حيث لا يفسد سوس ولا صدأ وحيث لا ينقب سارقون ولا يسرقون؟"
أو كما قال وسلي بحق "قد حرّم الرب يسوع اكتناز الكنوز في الأرض كما حرّم الزنى والقتل."

ألم يقل الرب أيضا: "بيعوا ما لكم وأعطوا صدقة" (لوقا ١٢ : ٣٣)؟ ثم ألم يقل للشباب الغني: "بع كل مالك ووزع على الفقراء فيكون لك كنز في السماء وتعال اتبعني" (لوقا ١٨ : ٢٢)؟

فلو لم يكن يعني تماما ما قاله فماذا كان يعني إذن؟

أليس هذا ما فهمه المؤمنون في كنيسة العصر الأول حتى أننا نقرأ عنهم "والأملاك والمقتنيات كانوا يبيعونها ويقسمونها بين الجميع كما يكون لكل واحد احتياج" (أعمال ٢ : ٤٥)؟ أو ليس هذا ما فعله كثيرون من قديسي الله على مر الأعوام فأطاعوا هذه الوصية بجملتها وتركوا كل شيء وتبعوا يسوع؟ .

هكذا فعل انطوني نورس غروفس وزوجته _ وهما من طلائع المرسلين إلى بغداد بالعراق _ إذ اقتنعا بأن عليهما أن لا يكنزا كنوزا على الأرض، بل أن يكرسا كل دخلهما الكبير جدا لخدمة الرب.

وهكذا فعل شارلي إستاد إذ صمم أن يقدم كل ما يملك للمسيح، وأن يغتنم الفرصة الذهبية التي فشل الشاب الغني في اغتنامها عندما عرضها عليه الرب. وقد عمل إستاد بالوصية حرفيا فوزع ألوفا من الدولارات لعمل الرب وأبقى ما يعادل

٩٥٨٨ دولارا لعروسه. ولم تكن هي أقل منه استعدادا للتضحية والبذل، فابتدرته بالسؤال قائلة: "شارلي! ماذا قال يسوع للشباب الغني؟"

أجاب : قال له "بع كل ما لك".

قالت : فلنبداً إذا بتنفيذ وصايا الرب من وقت زفافنا. فكان أن قدما مالهما

للإرساليات المسيحية.

وهذا هو روح التكريس الذي ملأ قلب جم البيوت فكتب في مذكرته يقول

: "يا أبي السماوي اجعلني ضعيفا بحيث لا أستطيع أن أمسك بيدي أي شيء زمني،

واجعلني يا رب غير متمسك بحياتي ولا بصيتي ولا بممتلكاتي. يا أبي اجعلني افقد حبي

لكل عزيز محبوب سواك. فكم مرة أرخيت قبضة يدي عن شيء لاربح شيئا أؤمن منه

تحقيقا لرغبة حسبتها بريئة. ومدّ يا رب يديّ عوضا عن ذلك لا قبل مسمار الجلجثة

كما مد المسيح يديه، حتى إذا تركت الجميع أستطيع أن أنجو من كل ما يربطني

ويقيدي. وكما أن ابنك المبارك أدخل نفسه وترك السماء، وهو المساوي لك، كذلك

دعني أنا أيضا يا رب أن أتخلّى عن كل ثمين مرخيا قبضتي عن كل ما أتمسك به. "

قد نظن أنه من المستحيل علينا أخذ كلمات الرب هذه حرفيا، وقد توحى

إلينا قلوبنا أننا لو تركنا كل شيء نموت جوعا، وتحصنا على أن نذخر لمستقبلنا

ومستقبل أولادنا وأعزائنا، ونتساءل: لو ترك كل مسيحي كل شيء فمن ينفق على

عمل الرب؟ وأن لم يكن بعض المسيحيين أثرياء فكيف يتسنى للإنجيل أن يصل إلى

الطبقات العليا من الناس؟ ونسترسل في الجدل والبحث لنقع أنفسنا أن الرب يسوع لم

يكن يعني ما قاله.

وفي الواقع، أن إطاعة وصية الرب هي أحكم أمر، لأن النفس المطيعة له تحظى بالفرح الحقيقي. ويشهد الكتاب المقدس _ كما يشهد الاختبار _ أن الرب يسد أعواز كل من بذل لأجل المسيح وضحي، فالله يعتني، ولا شك، بكل من أطاعه ويهتم بأموره.

لا شك أن من يترك كل شيء ويتبع المسيح لن يصبح مسكينا يتضور جوعا ويتسكع في الشوارع منتظرا أن يعوله أخوته المسيحيون. بل يكون:

١-مجتهدا نشيطا يعمل بمجد وهمة لسد مطالب احتياجاته واحتياجات أسرته.

٢-ومقتصدا معتدلا فيعيش على المبادئ الاقتصادية معتدلة ما أمكن بحيث يعطي كل ما يزيد عن حاجاته الضرورية لعمل الرب.

٣-وبعيد النظر فلا يجمع ثروة على الأرض بل يكنز كنوزا في السماء.

٤-ووثقا بالرب مسلما للمستقبل بين يديه، فبدلا من أن يصرف شبابه وأفضل سني حياته في جمع ثروة تسد عوز شيخوخته، يقدم قوة الشباب وأفضل أيام العمر لخدمة المسيح ويثق به للمستقبل، مؤمنا بأنه إذ يطلب ملكوت الله وبره لن يكون في حاجة إلى طعام أو لباس لأن هذه كلها تزداد له (متى ٦ : ٣٣).

ثم أن لا يؤمن بادخار القرش الأبيض لليوم الأسود وحجته في ذلك ما يأتي:

١- كيف يمكن أن تحتفظ بالمال ونذخره للمستقبل الجاهول، في حين يمكننا أن نستعمله حاليا لخلاص النفوس؟ ليسأل هذا نفسه "من كان له معيشة العالم ونظر أخاه محتاجا وأغلق أحشائه عنه فكيف تثبت محبة اله فيه " (يوحنا الأولى ٣ : ١٧)؟

ثم تأملوا وصية الرب العظمى المهمة_ أن "تحب قريبك كنفسك" (لاويين ١٩ : ١٨).
فهل نتمم هذه الوصية أن نترك أقرباءنا يموتون جوعا، بينما نحن نأكل ويفضل عنا الخبز؟ هل استعين بواحد ممن اختبروا فرح عطية الله التي لا يعبر عنها وأسأله: "هل ترضى أن تستبدل بهذا الاختبار مائة عالم؟" "أذن علينا ألا نحرم الآخرين من الوسائط التي تمنحهم حياة التكريس وتعزية السماء.

٢- لو كنا نؤمن حقا أن المسيح آت ثانية لكرسنا أموالنا لخدمته. وألا تعرضت هذه الأموال لقبضة إبليس، وقد كان بالإمكان استعمالها لبركة الكثيرين.

٣- كيف نستطيع أن نصلي بضمائر مخلصه طالين من الله أن يدبر المال اللازم لعمله، ونحن نأبي أن نستخدم أموالنا لهذا الغرض؟ فلو كرسنا كل مالنا لأجل المسيح لأنقذنا أنفسنا من الرياء في الصلاة

٤- كيف نقدر أن نعلم الآخرين مشورة الله، أن كانت هناك حقائق كهذه نقصر عن إطاعتها وتنفيذها؟ فأن حياتنا في مثل هذا التقصير تعطل شهادة أفواها.

٥- أن رجال العالم الماهرين يحتاطون للمستقبل.فسلوك كهذا يكون بالعيان لا بالإيمان. أما المسيحي فمدعو حياة الاعتماد على الله. فأن كان ينصرف إلى جمع كنوز على الأرض، فكيف يختلف عن أهل العالم وطرقهم. ويتذرع هؤلاء بحجة ادخار المال لمستقبل عائلاتهم، خوفا من أن يصبحون شرا من غير المؤمنين. ويقتبسون عادة العددين التاليين لتأييد هذا الرأي:

".....لأنه لا ينبغي أن الأولاد يذحرون للوالدين بل الوالدون للأولاد" (٢ كورنثوس ١٢ : ١٤).

"أن كان أحد لا يعتني بخاصته ولا سيما أهل بيته فقد أنكر الإيمان وهو شر من غير المؤمن" (١ تيموثاوس ٥ : ٨).

ودراسة دقيقة لهذين العديدين نتبين بأنهما يعالجان موضوع الحاجيات الضرورية اليومية، ولا يشيران إلى الضمانات المستقبلية.

ففي العدد الأول يستخدم بولس أسلوباً تمكيميا تشبيهاً. فهو الأب وأهل كورنثوس المؤمنون أولاده. وهو لم يشغلهم مالياً، مع أنه كان يملك كل الحق في أن يفعل ذلك بصفته خادم وعبد للرب. وكان علاوة على ذلك، أباهم في الإيمان، والأباء عادة يذخرون لأجل الأولاد، لا الأولاد لأجل الوالدين. فالموضوع ليس موضوع اذخار الوالدين لمستقبل الأولاد، لأن الفصل بجملته يختص بسد حاجات بولس الحاضرة، لا بضروريات مستقبله التي قد تنشأ في ما بعد. وفي (١ تيموثاوس ٥ : ٨) يعالج الرسول موضوع العناية بالأرامل. وهو يشدد على أن أقرباءهن مسؤولون عن العناية بهن. فإن لم يكن هن أهل، أو قصر أهلهن في مسؤولياتهم نحوهن، فعلى الكنيسة اقليمية أن تعتني بهؤلاء الأرامل المسيحيات. إذا ترى هنا أيضاً أن الموضوع يختص بالاحتياجات الحاضرة، لا بضروريات المستقبل.

أن المثل الأعلى الذي يقدمه الله هو أن أعضاء جسد المسيح يجب أن يهتموا بالحاجات الضرورية الحاضرة لآخوتهم المؤمنين.

وقد شرح بولس الرسول هذا الأمر فيين أنه يقصد المشاركة والمساواة فقال "فأنه ليس لكي يكون للآخرين راحة ولكم ضيق بل بحسب المساواة. لكي تكون في

هذا الوقت فضالتكم لأعوازمهم كي تصير فضالتهم لأعوازمهم حتى تحصل المساواة. " (٢ كورنثوس ٨: ١٣-١٥).

عندما يقتنع المسيحي بوجود الاذخار للمستقبل يواجه صعوبة تقدير الكمية التي سيحتاجها ومن ثم ينفق حياته في السعي لجمع ما قدره. وبهذا نفسه من فرصة تقديم أحسن ما عنده للرب يسوع المسيح وعندما يصل إلى نهاية حياته التي سبق أن أتلفها، يجد أنه أخطأ فلو كرس نفسه لخدمة المخلص لما احتاج شيئاً لأنه هو يسد كل حاجة. ولو أخذ المسيحيين كلمات المسيح حرفياً لما كان هناك عجز ولا نقص في المال الازم لعمل الرب، بل انتشر الإنجيل بقوة متزايدة إلى أبعد الحدود. ولو وجد أي تلميذ في حاجة لسرّ تلاميذ المسيح الآخرين أن يشاركوه بما عندهم. ومن السخف القول بأنه لا بد من وجود مسيحيين أثرياء ليصل الإنجيل إلى الأثرياء في العالم. فأنا نقرأ أن بولس أوصل الإنجيل إلى بيت قيصر وهو سجين (فيلبي ٤: ٢٢). فأن أطعنا الله نتق بأنه يرتب كل شيء.

أن مثال الرب يسوع قاطع ونهائي في هذا الأمر. لأن العبد ليس أفضل من سيده. فلا يليق بالعبد أن يسعى لكي يكون غنيا وعظيما ومكرما في هذا العالم الذي فيه عاش سيده فقيرا وضيعا محتقرا كان الفقر جزءا من آلام المسيح إذ افتقر من أجلنا كما أشار بولس الرسول في ٢ كورنثوس ٨: ٩. ولكن الفقر لا يحتم علينا بطبيعة الحال أن نلبس الخرق البالية أو نعيش في الأقدار، وإنما يعني عدم وجود ذخيرة للمستقبل، كما يعني نبذ وسائل الرفاهية. وقد أشار أندرو موري إلى أن الفقر الذي عاش فيه الرب وتلاميذه كان أساس نجاحهم في إتمام عملهم. فمن أراد أن يربح إنسانا عليه أن ينزل

إليه كما فعل السامري الصالح. والمعروف أن معظم الناس، بل الأغلبية الساحقة منهم، فقراء.

يقول بعض الناس أن هناك ممتلكات مادية معينة ضرورية للحياة وهذه صحيح. ويقولون أن رجال الأعمال المسيحيين في الوقت الحاضر يحتاجون إلى رأس مال ليستطيعوا القيام بعملهم وهذا صحيح، ويقول الناس أن ثمة مطالب مادية أخرى، مثل السيارة، يمكن أن تستخدم لخدمة الله. وهذا أيضا صحيح.

لكن فيما عدا هذه الضروريات الجائزة، على المسيحي أن يعيش باقتصاد وتضحية لنشر الإنجيل وأن يكون شعاره كما قال غرو فز: " اعمل بقوة - استهلك قليلا-وأعط كثيرا- وكل ذلك لأجل المسيح ". فكل منا مسؤول أمام الله عن معنى: "ترك كل شيء" وليس لمؤمن أن يشرع لآخر، بل على كل أن يتصرف بحسب اختياره الخاص أمام الرب. فهذا أمر شخصي ذو علاقة فردية بين الإنسان وربه. فأن قاد الرب مؤمنا إلى نوع من التكريس غريب عن اختياره الخاص فليس له أن يتكبر لأن تضحياتنا كلها لا تحسب تضحيات في ضوء الجلجثة. وعلاوة على ذلك فنحن إنما نعطي الرب ما لا نستطيع أن نحفظ به على أي حال وما قد فقدنا حبه والتعلق به. وما أجمل ما قاله جم اليوت في هذا الصدد "ليس غيبا من يعطي ما لا يستطيع أن يحتفظ به، ليربح ما لا يستطيع أن يفقده" .

٣ عقبات في سبيل التلمذة

كل من صمم على اتباع المسيح عليه أن يتأكد بأنه لا بدّ من وجود عقبات تعترض طريقه لتصدده عن التقدم. وسوف تقوم أمامه فرص عديدة تدعوه للنكوص والرجوع. وسوف ترتفع أصوات قليلة تناديه أن يتخلف بضع خطوات عن طريق الصليب.

وقد اتضح هذا في قصة الثلاثة الذين أرادوا أن يكونوا تلاميذ للمسيح ولكنهم فضلوا أصواتا أخرى على صوت المسيح: "وفيما هم سائرون في الطريق قال له واحد يا سيد اتبعك أينما تمضي. فقال له يسوع للشعالب أوجرة ولطيور السماء أوكار. وأما ابن الإنسان فليس له أين يسند رأسه. وقال لأخر اتبعني. فقال يا سيد ائذن لي أن أمضي أولاً وأدفن أبي. فقال يسوع دع الموتى يدفنون موتاهم وأما أنت فاذهب وناد بملكوت الله. وقال آخر أيضاً اتبعك يا سيد ولكن ائذن لي أولاً أن أودع الذين في بيتي. فقال له يسوع ليس أحد يضع يده على الخراث وينظر إلى الوراء يصلح لملكوت الله" (لوقا ٩: ٥٧-٦٢).

ثلاثة أشخاص لم تذكر أسماءهم قابلوا الرب يسوع وجها لوجه وشعروا بدافع داخلي يدعوهم لاتباعه ولكن شيئاً ما حال دون تكريس نفوسهم تكريساً تاماً للمسيح.

"المستعجل جداً"

لندع الرجل الأول " المستعجل جدا ". لقد أبدى هذا حماسة بالغة لاتباع يسوع، أينما ذهب. قال: "يا سيد اتبعك أينما تمشي ". أني مستعد أن أدفع الثمن مهما بلغ، وأن احمل الصليب مهما ثقل وأن أسير في طريقك مهما وعر.

ولكن السيد يجيبه بطريقة تبدو تحديا لرغبته الملحة فيقول له : " للثعالب وأجرة ولطيور السماء أوكار. و أما ابن الإنسان فليس له أين يسند رأسه". وهذا أنسب جواب لذلك السائل، فكأن المسيح يقول له: " أنت تعلن رغبتك في اتباعي أينما أمضي فهل ترضى بأن تستغني عن وسائل الراحة المادية في الحياة؟ أن للثعالب وسائل للراحة في هذا العالم أكثر مما لي. أن لطيور أعشاشا، تستطيع أن تدعوها بيوتا وملاجئ لها، أما أنا فلا بيت لي ولا مأوى. أنتقل من مكان إلى آخر بلا مسكن في عالم صنعته يداي، فهل ترضى أن تضحي بأمن البيت وراحته في سبيل اتباعي؟ هل ترضى أن تضحي بوسائل الراحة المشروعة في الحياة لتخدمني بكل ولاء؟

ويبدو أن الرجل لم يرضى بذلك، والكتاب المقدس لا يذكره ثانية، فقد كان حبه للراحة الأرضية، أفضل لديه من ولاءه وتكريسه للمسيح!.

" المبطئ جدا "

ولندع الرجل الثاني "المبئئ جدا" نلاحظ أن هذا لم يتطوَّع كما تطوَّع الرجل الأول، بل أن المخلص هو الذي دعاه لاتباعه. ولم يكن جوابه رفضا صريحا، بل الظاهر كان أمامه شيء أكثر أهمية. خطيته العظمى : أنه وضع مطالبه قبل مطالب المسيح. ونلاحظ ذلك من جوابه: " يا سيد ائذن لي أن امضي أولا وأدفن أبي. "

من الضروري أن يحترم الابن أباه ويكرمه، ومن الواجب أيضا أن يدفنه عندما يموت بكل احترام وتكريم. ولكن هذه المجاملات الشرعية تصح خطبة شنيعة، إذا ما حالت دون اتباع المسيح. فهذا الرجل ينكشف طموحه ويعرف على حقيقته عندما يجيب المسيح: "يا سيد... لي أولا...." أما باقي كلامه فكان ثورية لاعطاء النفس المكان الأول.

يظهر أن ذلك الرجل لم يدرك أن قوله "يا سيد... لي... أولا". أمر مضحك، مستحيل. فأن كان المسيح سيدا فيجب أن يكون أولا. وعندما يضع الإنسان نفسه أولا ويتوجها على العرش، يضع سلطان المسيح وسيادته. "المبطل جدا" كان له عمل يتممه، وجعل لهذا العمل المكان الأول. لذلك كان من اللائق أن يقول له المسيح "دع الموتى يدفنون موتاهم، وأما أنت فاذهب وناد بملكوت الله". ويمكننا أن نوضح كلماته هكذا: "توجد أشياء يستطيع أن يقوم بها الموتى روحيا، كما يقوم بها المؤمنون. إنما توجد أشياء أخرى لا يستطيع أن يقوم بها سوى المؤمن فلا تضيع حياتك في عمل شيء يستطيع أن يقوم به سواك من غير المؤمنين. دع الموتى روحيا يدفنون موتاهم جسديا، أما أنت فكن رجلا لا يستغنى عنه في عمل ملكوت الله. فاجعل هدفك الأسمى في الحياة أن يكون نشر ملكوتي على الأرض".

ويبدو أن هذا الثمن كان أعظم من أن يدفعه "السيد البطل جدا". ولذلك لا نسمع له ذكرا في التاريخ فيما بعد. وأن كان الرجل الأول قد أظهر أن وسائل الراحة المادية قد تكون عقبة في سبيل التلمذة، فأن الرجل الثاني أظهر أن العمل، أو المهنة، قد يكونا عقبة إذا احتلا المكان الأول، أو صارا الهدف الرئيسي في حياة

المسيحي الحقيقي. ليس في الأعمال الدنيوية خطر أو خطأ، فإن الله قد رتب أن يعمل الإنسان ليعول نفسه ويدبر حاجات عائلته. ولكن حياة التلمذة الحقّة تتطلب أن نضع ملكوت الله وبره أولاً، وتتطلب أن لا يضع المؤمن حياته في عمل ما يستطيع الإنسان العادي غير المؤمن وغير المتجدد أن يفعل مثله، أن لم يكن أفضل منه. وأن الهدف من العمل هو مجرد توفير ضروريات المعيشة بينما دعوة المؤمن الرئيسية وشغله الشاغل هو المناداة بملكوت الله.

" المتردد جدا "

أما الرجل الثالث فدعوه " المتردد جدا ". وهو يشبه الأول إذ تطوَّع لاتباع الرب، وهو يشبه الثاني في استعماله الكلمات نفسه " يا سيد... لي.. أولاً" إذ قال "اتبعك يا سيد ولكن انذن لي أولاً أن أودع الذين في بيتي".

ونسلم مرة أخرى أنه لا يوجد خطأ أساسي في هذا الطلب بحد ذاته، فليس في إظهار الاهتمام بأحد أقربائنا أو في مجاملة أحبائنا عند وداعهم أي شيء يناقض وصايا الله. فما هي أذن نقطة الضعف وموطن الخطأ في تصرف هذا الرجل؟ خطؤه أنه سمح للعلاقات الطبيعية الودية أن تأخذ مكان الصداقة وتتقدم على علاقته بالمسيح.

ولذلك يقول له المسيح بنظر ثاقب: "ليس أحد يضع يده على الحراث وينظر إلى الوراء يصلح لملكوت الله ". وكان المسيح يقول له: "لا أريد تلاميذ مسترخين مدللين، بل أناس حازمين، جديين، يعطونني المكان الأول في حياتهم ويحسبون علاقاتهم بي أفضل من علاقاتهم العائلية الأخرى".

ولا شك أن "المتردد جدا" ترك يسوع ومضى حزينا في الطريق.فإن طموحه الشديد بأن يكون تلميذا للمسيح قد تحطم على الصخرة العلاقات العائلية. ربما كانت أمه تبكي وتنتحب وتقول له: "أنك تكسر قلب أمك أن تركتني وذهبت إلى حقل خدمة الرب. لا نعلم ذلك على وجه التحديد، إنما كل ما نعلمه هو أن الكتاب المقدس لم يذكر اسم هذا المتردد، الذي نكص وعاد على أعقابه ففقد بذلك أعظم فرصة في حياته، واستحق الحكم: "لا يصلح للملكوت الله "

توجد أذن ثلاث عقبات رئيسية في سبيل التلمذة الحقة، يوضحها هؤلاء الرجال الثلاثة الذين لم يكونوا مستعدين للسير كل الطريق مع الرب يسوع.

السيد المستعجل جدا_أيثار وسائل الراحة الأرضية.

السيد المبطئ جدا_تفضيل العمل أو المهنة.

السيد المتردد جدا_ الميل إلى العلاقات العائلية.

ولا يزال الرب يسوع يدعو، كما دعا من قبل، اتباعا من الأبطال المضحين غير المتردد.

وما زالت العقبات وسبل التهرب ميسورة تعرض نفسها بعبارات مغرية قائلة "أنقذ نفسك! حاشاك! لا يكون لك هذا".

وما أقل الذين يقبلون تلبية النداء ويختارون المسيح أسنى نصيب!

قابلا همل صليبي

اتبع الفادي الأمين

راضيا إنكار ذاتي

وارتدا العار المهين

٤ التلاميذ هم وكلاء

روى الرب مثل وكيل الظلم (لوقا ١٦ : ١-٣١) للتلاميذ، وفيه بين لهم المبادئ التي تنطبق على التلاميذ في كل العصور. أليس التلاميذ وكلاء عهد الرب إليهم العناية بماله ومصالحه هنا على الأرض؟

وهذا المثل عسر الفهم ويبدو في الظاهر أنه يمتدح الخداع والالتواء. لكن إذا فهم على حقيقته فهو مليء بتعاليم ذات أهمية كبرى جدا.

وقصة هذا المثل تتلخص في أن رجلا ثريا أستأجر وكيلا عهد إليه بالأشراف على أعماله. وبعد مضي مدة من الزمن عرف السيد أن وكيله كان يبذر أمواله فاستدعاه في الحال وطلب منه أن يقدم حساب وكالته، مع تدقيق كامل في دفاتره، وأعطاه إنذارا بإنهاء خدمته وأدرك الوكيل أن مستقبله كئيب مظلم. فقد كان متقدما في السن بحيث لا يستطيع أن يقوم بعمل يدوي متعب، وكان خجولا يستحي بأن يستعطي. وسرعان ما خطر له خاطر يضمن له أصدقاء في أيام الخنة القادمة. فذهب إلى واحد من مديوني سيده وسأله: "كم عليك لسيدي" ؟ فأجاب: "مئة بث زيت" أي ما يعادل ثلاثة آلاف لتر من الزيت. قال الوكيل: "ادفع ما يعادل النصف ونضبط الحساب". ثم مضى إلى مديون آخر من مديوني سيده وسأله السؤال نفسه: "كم عليك لسيدي" فأجاب: "مئة كَرّ قمح" أي ما يعادل ثمانية وعشرين ألف كيلو غرام من القمح فقال له ادفع "ثمانين كَرّ قمح" _ أي ما يعادل اثنين وعشرين ألف كيلو غرام من القمح _ "ونسدّد الحساب"

وأغرب من تصرف هذا الوكيل غير الأمين التعليق الذي يليه: فمدح السيد وكيل الظلم إذ بحكمة فعل. لأن أبناء هذا الدهر أحكم من أبناء النور في جيلهم" (لوقا ١٦ : ٨).

كيف نفهم نحن هذا المديح الذي يبدو وكأنه يشجع الخداع والخيانة في المعاملات؟

هناك أمر مؤكد لا شك فيه وهو أن سيد وكيل الظلم وسيدنا المبارك لم يمتدحا هذا الخداع وعدم الأمانة. بل أن عدم الأمانة هي التي سببت، بالدرجة الأولى، طرده من العمل. وهل يمكن أن نجد شخصا مستقيما يشجع على الغش أو يمتدح الخيانة؟ فمهما حوى هذا المثل من تعاليم فليس فيه أية إشارة تبرر الاختلاس أو السرقة على أية حال من الأحوال.

أما هناك شيء واحد يستحق أن يمتدح عليه وكيل الظلم وهو تخطيئه أو تدبيره للمستقبل. فقد اتخذ خطوات ليؤمن لنفسه أصدقاء بعد انتهاء وكالته. لقد عمل للمستقبل لا للحاضر.

هذه هي النقطة المركزية في المثل: أن أهل العالم يتخذون خطوات جديدة لتأمين مستقبلهم _ أي زمن شيخوختهم وأعوام تقاعدهم. فهم يعملون بكل جد واجتهاد ليضمنوا لأنفسهم راحة، عندما لا يستطيعون العمل والريح وهم لا يتركون سبيلا ولا بابا إلا ويطرقونه ليحصلوا على ضمان اجتماعي.

من هنا نقول أن غير المخلصين أحكم من المسيحيين. أما السبب في ذلك فلأن مستقبل المسيحي هو في السماء وليس على هذه الأرض. هذا هو بيت القصيد. فأن

مستقبل غير المؤمن ينحصر في الوقت الذي يقع بين حاضره والقبر. أما مستقبل المؤمن فهو الأبدية التي تقضى مع المسيح.

ويعلمنا هذا المثل أن غير المتجددين هم أحكم وأنشط في الاستعداد لمستقبلهم على الأرض من المسيحيين في الاستعداد لمستقبلهم في السماء.

وفي هذه المناسبة يقدم لنا الرب يسوع التطبيق العملي لهذا المثل فيقول: "وأنا أقول لكم اصنعوا لكم أصدقاء بمال الظلم حتى إذا فنيتم يقبلونكم في المظال الأبدية " ويعني بمال الظلم هنا الثروة والممتلكات الدنيوية، فهذه تمكننا أن نستخدمها لربح النفوس للمسيح. والنفوس التي نربحها بواسطة أمانتنا في استعمال المال تسمى في المثل "أصدقاء ". وسيأتي يوم يدركنا الموت أو نحطف في السحب لملاقاة الرب في الهواء، الأمر الذي سيتم سواء كنا راقدين أم أحياء، ويكون أن "الأصدقاء " الذين ربحناهم بحكمتنا في استعمال أموالنا يكونون معنا في المظال الأبدية.

بهذه الطريقة يخطط الوكلاء "الحكماء " للمستقبل _لا بأنفاق حياتهم في السعي الباطل للحصول على ضمانات في الأرض، بل في السعي النشط المتحمس للحصول على أصدقاء في السماء، أصدقاء ربحناهم بأموالنا. فعندما يتحول المال إلى كتب مقدسة وأناجيل وأجزاء من الكتاب المقدس ونبد روحية ومطبوعات دينية أخرى، وعندما ينفق على خدام المسيح والكلمة من مرسلين وغيرهم، أو ينفق لتمويل برامج الإذاعات المسيحية وسائر النشاطات المسيحية الأخرى الجدير بالتشجيع، وبعبارة مختصرة: عندما يستخدم المال لنشر الإنجيل في العالم، عندئذ يتحول المال إلى

أصدقاء يرحبون بنا في السماء. فالمال الذي ينفق على عمل الرب في هذا العالم هو نفسه المال الذي يكنز في السماء.

عندما يرى المؤمن أمواله وممتلكاته الزمنية وقد استخدمت لخلاص النفوس الثمينة، يفقد محبته للأشياء المادية وتضيع لذته في الترف والثروة والمظاهر المادية الجذابة، فلا يعود يستسيغها ولا يجدها، ويشتاق إلى أن يرى مال الظلم يتحول بكيمياء إلهية إلى عبّاد للحمل يسجدون له إلى أبد الأبد. وعند ذلك تستأ سره فكرة القيام بعمل في حياة البشر يؤول إلى مجد دائم لله وسعادة مقيمة له ولشعب الله. وكل ما في العالم من ماس وجواهر وآلئ، وودائع في البنوك، وبوليصات التأمين، وقصور ويخوت وسيارات فاخرة، تصبح في عينيه "مال الظلم" أن استخدمها المرء لنفسه وحسب، فلا فائدة منها، أما أن أنفقت لأجل المسيح تحوّلت إلى غنائم وأرباح تبقى إلى الأبد.

والطريق التي بها نستخدم أموالنا وممتلكاتنا، والمدى الذي به نتمسك وتعلق بها هو محك أخلاقنا. وقد أكد المسيح ذلك في العدد العاشر بقوله: "الأمين في القليل أمين أيضا في الكثير. والظالم في القليل ظالم أيضا في الكثير".

و"القليل" المذكور في هذا العدد هو وكالتنا في الأشياء المادية. فالرجل الأمين هو الذي يستخدمها لمجد الله وبركة أخوته. و"الظالم" هو الذي يستخدمها لراحته الشخصية ولتعمه الذاتي وتمتعه الأناني. فإذا كان المرء غير أمين ولا يمكن أن يعهد إليه بالقليل أي بالأشياء المادية، فكيف يمكن أن يعهد إليه بالكثير أي بالأشياء الروحية؟ وإن كان غير أمين في مال الظلم، فكيف نتظر منه أن يكون أمينا كخادم للمسيح وكوكيل

سراير الله (كورنثوس الأولى ٤ : ١)؟ ويشدد المخلص على هذا بشكل أكثر فيقول:
"أن لم تكونوا أمناء في مال الظلم فمن يأتكم على الحق" (١١).

الغني الحقيقي ليس هو في الكنوز الأرضية، لأن قيمتها محدودة ووقتها. لكن
الكنوز الروحية هي الغني الحقيقي لأن قيمتها ل يمكن أن تقاس أو تحد. وأذا لم يكن
الإنسان أميناً في استعمال الأشياء المادية، فهل يقدر أب يكون أميناً في الأمور الروحية؟
ثم يخلص المسيح في مثله إلى القول: "أن لم تكونوا أمناء في ما هو للغير فمن
يعطيكم ما هو لكم" (١٢).

أن مقتنياتنا المادية ليست لنا، بل هي أمانة من الله، وكل ما نملكه ليس إلا
وكالة مقدسة يأتنا الله عليها. وأما ملكنا الحقيقي فهو ما نبذله من جهود لنكون أمناء
في وكالتنا في سبيل المكافأة التي سنحصل عليها نتيجة لأمانتنا في الديار الأبدية. فأن لم
نكن أمناء في التصرف بمال الله، فلا نقدر أن نتفهم حقائق كلمة الله العميقة، ولا يجوز
أن ننتظر المجازاة في الحياة الأبدية، وأن كانت الحياة الأبدية نفسها من نصيبنا.

وبعد ذلك نصل إلى الذروة إذ يخلص المسيح التعليم الذي ينطوي عليه المثل
قائلاً: "لا يقدر خادم أن يخدم سيدين لأنه أما أن يبغض الواحد ويحب الآخر. أو يلازم
الواحد ويحتقر الآخر. لا تقدر أن تخدموا الله والمال".

لا يمكن أن يكون هناك ولاء منقسم، فالتلميذ لا يستطيع أن يخدم معلمين،
والوكيل أما أن يحب الله أو المال. فأن أحب المال فقد ابغض الله.
واذكر، يا أخي، أن هذا الكلام موجّه للتلاميذ، لا للغير المخلصين.

٥ الغيرة

يعذر التلميذ الذي لا يملك قدرة عقلية فائقة، ويعذر التلميذ الذي لم يتوفر لديه قوة جسمانية فذة. ولكن لا يعذر التلميذ يفتقر إلى الغيرة. ألا يقاصص من لم يضرم قلبه بحماس روحي.

أليس المسيحيون اتباع ذاك الذي قال: "غيرة بيتك أكلتني" (يوحنا ٢: ١٧)؟ لقد كان مخلصا متقددا غيرة لله ولجميع ما يختص بالله. فكيف يرضى لذاته باتباع فاترين؟

عاش المسيح حياة ضغط روحي شديد. وهذا ما يشير إليه كلماته "لي صبغة اصطبغها وكيف انحصر حتى تكمل" (لوقا ١٢: ٥٠)، كما تشير إليه أيضا عبارته المشهورة: "ينبغي أن اعمل أعمال الذي أرسلني ما دام نهار، يأتي ليل حين لا يستطيع أحد أن يعمل" (يوحنا ٩: ٤).

وشهد الرب لغيرة يوحنا المعمدان بقوله: "كان هو السراج الموقد المنير" (يوحنا ٥: ٣٥).

وكان بولس الرسول غيورا جدا، وقد حاول أحدهم أن يصف غيرة حياته في المقطع التالي :

"أمامنا رجل لا يهتم بجمع زمرة من الأصدقاء، أو ثروة مادية، لا قيمة عنده للأشياء العالمية، عاش بلا هم في الحياة وبلا خوف من الموت. رجل لا يسعى لمنصب ولا يتحمس لبلد ولا يسعى إلى تحين حالته. همّه الأوحده إنجيل المسيح. رجل له غرض واحد هو مجد الله، حسبه الناس غبيا، فرضي بذلك لأجل المسيح، حسبه متعصبا

مهيجا للفتن فلم يعترض على أن يلقيه الناس بما شاؤا... وأن دعوه تاجرا، أو رب بيت، أو مواطنا، أو صاحب ثروة، أو رجل علم، أو رجل عالم، أو حتى صاحب ذوق سليم، فلا يؤثر أحدهم على سجاياه. عليه أن يتكلم أو يموت، ولن يحجم عن الكلام حتى إذا أدى به ذلك إلى الموت. لم يعبأ بالراحة بل راح يجوب البر والبحر فوق الصخور، وفي برار مجهولة لم يسلكها قبله إنسان، وهو ينادي بصوت عال لا يسكت، ولا ينثني عن عزمه. في السجن يرفع صوته، وفي عواصف المحيط لا يهدأ، وقدام الجامع الرهيبة المفرعة وعروش الملوك يشهد للحق. لم يستطع أحد أن يحمد صوته ألا الموت بل حتى في ساعة الموت، وقيل أن تفصل السكين رأسه عن جسمه، نسمعه يتكلم، ويصلي، ويشهد، ويعترف، ويتوسل، ويناضل وأخيرا يبارك الشعب القساة."

وآخرون من رجال الله تذرعو بهذه الغيرة المتهبة نفسها لارضاء الله. فقد كتب شارلي إستاد ذات مرة: "يريد بعضهم أن يعيشوا داخل الكنيسة يسمعون صوتها ويقرعون جرسها. أما أنا فأريد أن اركض لانتقد إنسانا على بعد متر من جهنم".

وبهذه المناسبة نذكر، عوضا، أن الذي قاد إستاد إلى تكريس تام للمسيح كان مقالا كتبه ملحد هذا نصه: "لو كنت أوّمن حقا وعن يقين، بما يؤمن به ملايين المسيحيين القائلين بأن معرفة الدين وتطبيقه في هذه الحياة يقران المصير في الحياة الأخرى، لو كنت أوّمن بهذا لجعلت الدين كل شيء في حياتي. ولحسبت كل تمتع دنيوي نفاية، وكل الموم الأرضية حماقة وكل الأفكار الدنيوية والمشاعر العالمية باطلا، لكنك اجعل الدين فكري الأول عندما استيقظ، وآخر صورة ترتسم أمامي قبل أن استغرق في النوم واستسلم للاشعور، وكنت اعمل في قضية الدين وحدها، ولا اهتم

بعد ألا بالأبدية وحسب. وكنت أقدر أن ربح نفس واحدة للمسيح يعادل حياة كاملة من الألم. وما كانت تعطل يدي أو تقفل فمي عواقب أرضية، فأن الأرض بأفراحها وأحزانها لا أعيرها لحظة من أفكارى بل أسعى إلى الأبدية وحدها وانظر إلى النفوس الخالدة حولي وقد أوشكت على أبدية سعادة أو أبدية شقاء! كنت اذهب إلى العالم واكرز في وقت مناسب وغير مناسب متخذاً آية موضوعي: "ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه؟"

كان جون وسلي إنسانا غيورا وقد قال مرة: "أعطني مائة شخص يحبون الله بكل قلوبهم، ولا يخافون سوى الخطية، وأنا أهنأ بهم العالم".

وكان جم البيوت _ شهيد اكوادور _ شعلة من نار لأجل المسيح يسوع. كان في يوم من الأيام يتأمل هذه العبارة: "الصانع خدامه نارا ملتبهة" (عبرانيين ١: ٧) فكتب في مذكرته يقول: "هل أنا ملتبه؟ نجني يا إلهي من أن أكون فتيلة لا تشتعل، امنحني أن أتشبع وأمتلئ بزيت الروح حتى أستطيع أن أكون لهيبا. ولكن اللهب وقتي قصير العمر، فهل تستطيعين يا نفسي أن تكوني زائلة قصيرة العمر في غيرتك؟ وبما أن روح ذلك العظيم الذي عاش حياة قصيرة أكلته خلالها غيرة بيت الله يسكن في فلا بد أن تجعلني يا رب لهيبا لك ونارا متقدة."

وهذا السطر الأخير مقتبس من قصيدة تتميز بالغيرة والاضطراب كتبتها أمي كار ميكل. ولا عجب أن استمد جم البيوت إلهاما عظيما من هذه القصيدة:

نجني يا رب، نجني أنا عبدك حريري
نجني من أن التمس التهرب في حياتي

نُجني من الخوف الذي يخشى الطموح
نُجني من الرعب الذي يتهيب التسلق
نُجني من النفس الناعمة كالحرير
واجعلني جنديا شجاعا جديرا باتباعك أيها القائد.
نُجني من اختبار الهنات الهيئات
نُجني من الاستسلام والتسليم للضعفات
فليس هذا هو الحصن المطلوب
وليس هذا هو الروح الموهوب
لمن يسير في طريق المصلوب
فمن هذا نُجني يا همل الله الحبيب
امنحني المحبة التي تقودني في الطريق
امنحني الإيمان الذي لا يخشى الضيق
امنحني الرجاء الذي لا يخشى الفشل
امنحني الحماس الذي يضرم في نار العمل
حتى لا أكون قطعة طين باردة خامدة
بل اجعلني يا رب لهيبا لك ونارا متقدة

عار الكنيسة في القرن العشرين هو أنها سمحت لأتباع المذهب المادي وانصار
البدع المستحدثة أن يكون لهم غيرة أكثر من المسيحيين. ألا نخجل نحن بصفتنا مسيحيين
عندما نذكر أن ليين وسبعة عشر من اتباعه بدأوا يهاجمون العالم عام ١٩٠٤ حتى بلغ

عددهم أربعين ألفا عام ١٩١٨ وقد استطاعوا أن يملكو زمام مائة وستين مليوناً، ثم تضاعف عددهم حتى أصبح يضم نحو ثلث سكان العالم في هذه الأيام؟ ومهما خجلنا من كتاباتهم وادعاءاتهم غير أننا لا نستطيع إلا أن نقدر حماسهم.

كم من المسيحيين شعروا بالخجل والصغر عندما قرأ بلي جراهم رسالة أرسلها شاب إلى خطيبته يشرح لها سبب إرغامه على فسخ الخطبة_ وهذا نص الرسالة:

نحن نتزايد بنسبة مدهشة جداً. أننا تلقى حثفتنا بالرصاصة، ونشقى ونسجن، ونطرد من وظائفنا، ونلاقي كل عذاب وتنكيل.. أننا نعيش في السجون المظلمة، وفي الفقر المدقع. ونقدم كل مبلغ نربحه، مما يزيد عن حاجتنا الضرورية للحزب الذي ننتمي إليه. فأنا لا نذهب إلى السينما، ولا إلى الملاهي، ولا إلى الحفلات، ولا نبي القصور، ولا نقفني السيارات الفخمة، لنوفر كل ما نستطيع أن نوفره لنشر مبدئنا. وحياتنا كلها تتجه إلى هدف واحد، هو نشر مبدئنا. هذا المبدأ هو حياتي، وعملي، وديني، وهوايتي، هو خطيبي، وزوجتي، وسيدتي، وطعامي، وشرابي. لأجل هذا المبدأ اعمل في النهار، وبه أحلم في الليل. وهو مبدأ يملك كل حواسي، ينمو ولا يضعف بمرور الزمن. لهذا لا احتفظ بصداقة، ولا علاقة حب، ولا حديث لا علاقة له بهذه القوة الدافعة المسيطرة على حياتي. وتقديري للناس والكتب والأفكار والأعمال إنما يقاس بمقدار أثرها في خدمة هذا المبدأ ونشره. وأني على استعداد لأن اذهب في سبيل هذا المبدأ إلى السجن بل إلى الإعدام. "

فإن كان "أهل العالم" يكرسون أنفسهم لقضيتهم إلى هذا الحد، فكم بالأحرى على المسيحيين أن يكرسوا أنفسهم بل أن يسكبوا في ولاء تام مملوء بالحب والفرح

لسيدهم المجيد. حقا، إذا كان الرب يسوع يستحق شيئا فهو يستحق كل شيء. أو كما قال فنديلي "أن كان الإيمان المسيحي يستحق أن نؤمن به إطلاقا فهو يستحق أن نؤمن به بكل شجاعة وبطولة."

وقال جايمس ديني: "أن كان الله حقا قد أعلن للعالم خلاصه في المسيح، فمن واجب كل مسيحي أن يرفض كل رأي وكل نظرية تنكر هذا الحقيقة أو تحط من قدرها."

أن الله يريد أناسا يضعون أنفسهم تماما تحت آمرة الروح القدس وقيادته. قد يظن بعض الناس أنهم قد امتلأوا سلافة أو سكروا بالخمير، والبعض الآخر يعرفون أنهم مسوقون إلى الله بعطش شديد لا يروي وبحماس متقد لا يطفأ.

فكل من يريد أن يكون تلميذا للمسيح عليه أن يملأ قلبه بغيرة وقادة، وأن يصبر ليتم في حياته الوصف الذي ذكره الأسقف رايل في كتابه المشهور "المسيحية العملية".

"يكرس الرجل المتدين الغيور نفسه لأمر واحد. فلا يكتفي بأن يقال أنه غيور، محب، لا يهادن، دقيق، كلي التكريس حار في الروح، بل ليس أمام ناظره إلا شخص واحد، ثم أنه يهتم بشيء واحد، ويستغرق وقته شيء واحد، وهذا الشيء الواحد هو إرضاء الله_ فسواء عاش أو مات، وسواء صح أو مرض، وسواء اغتنى أو افتقر، وسواء أرضى الناس أو أغضبهم، وسواء أصابه مدح أو ذم، وسواء كرم أو أهين، فلا يهم الرجل الغيور شيء من كل هذا. فأن احترق وفيه فهو قانع راض، شاعر أنه مصباح قد صنع ليحترق، وأن في باحترافه فإنما هو يتمم العمل الذي للأجله أوجد

الله. وأن لم يستطع أن يبشر، أو يعمل، أو يعطي، فهو يصرخ وينتحب ويصلي. أجل، وأن كان فقيرا معدما، أو مريضا ملازما للفراش فهو، حتى في هذه الحالات، يعرقل دوايب الخطية، وذلك بصلواته المستمرة ضد الخطية. وأذا لم يستطع أن يجارب في الوادي مع يشوع، فسيعمل عمل موسى وهرون وهور على الجبل (خروج ١٧ : ٩-١٣) وأن كف هو نفسه عن العمل فهو لا يسكت ولا يدع الرب يسكت، حتى تأتي المعونة من باب آخر، ويتم العمل بشخص آخر. هذا ما اقصده عندما أتكلم عن الغيرة في الدين."

٦ الإيمان

تتوقف التلمذة على الإيمان الصادق العميق بالله. فمن أراد أن يقوم بأعمال عظيمة جبارة لله عليه أن يثق فيه ثقة تامة. فأن "كل رجال الله العظام كانوا دائما وأبدا أناسا ضعفاء قاموا بأعمال عظيمة لله لأنهم اعتمدوا على الله المساند لهم، كما قال هداسون تيلر.

يؤسس الإيمان الحقيقي دائما على وعد من مواعيد الله أو على فقرة من الكتاب المقدس. هذا أمر على جانب كبير من الأهمية، فالمؤمن يقرأ أو يسمع وعدا ما من الله، فيأخذ الروح القدس ذلك الوعد ويطبقه في قلبه وضميره، فيدرك المسيحي أن الله قد كلمه مباشرة. وبنقطة تامة في الذي وعد وهو أهل لكل ثقة، يحسب المؤمن أن الوعد مؤكد ومضمون كما لو كان قد تم فعلا، ولو أنه يبدو مستحيلا من وجهة النظر الطبيعية.

ولعلّ المؤمن يتأثر بوصية وليس بوعد ولا فرق بين الحالتين. فأن كان الله يأمر، فهو يمكننا من إتمام الأمر. فإذا أمر بطرس أن يمشي على الماء فلبطرس أن يتأكد من نوال القوة التي يحتاج إليها لذلك (متى ١٤ : ١٨). وهكذا هي حالنا فإذا أمرنا أن نكرز بالإنجيل للخليفة كلها فلنا أن نتأكد من نوال النعمة التي نحتاج إليها لذلك.

والإيمان لا يتم عمله في دائرة الممكن، فلا مجد لله في إتمام ما يمكن إتمامه بشريا. إنما الإيمان يبدأ حيث تنتهي قوة الإنسان أو كما قال جورج مولر "أن دائرة الإيمان تبدأ حيث تنتهي الممكنات وحيث يفشل العيان والحس " يقول الإيمان "أستطيع أن أتم كل مستحيل". قال ماكتنوش: "الإيمان ينزل الله إلى دائرة العمل، ولذلك لا

يصعب عليه شيء، لا بل هو يهزأ بالمستحيات. يرى الإيمان أن الله يحل كل مشكل وكل صعوبة، أنه يضع كل أمر أمام الله فلا يهتم الإيمان في كثير أو قليل أن كان المطلوب ستمائة ألف ليرة أو ستمائة مليون. فإنه يعرف أن الله قادر على كل شيء وهو يسد كل اعوازا. أما عدم الإيمان فيسأل: كيف يمكن هذا وكيف يمكن ذلك؟ هو مملوء تساؤلات. أما الإيمان فله الجواب الأعظم الأوحى الألف كيف وكيف، وذلك الجواب هو الله".

يستحيل بشريا، أن ينجب إبراهيم وسارة ابنا، لكن الله وعد، ويستحيل عليه بالنسبة لإبراهيم أن يكذب. "فهو على خلاف الرجاء آمن على الرجاء لكي يصير أبا لأمم كثيرة كما قيل هكذا يكون نسلك. وإذا لم يكن ضعيفا في الإيمان فلم يعتبر جسده وهو قد صار مماتا إذ كان ابن نحو مئة سنة ولا ممتية مستودع سارة. ولا بعدم إيمان ارتاب في وعد الله بل تقوى بالإيمان معطيا مجدا لله. وتيقن أن ما وعد به هو قادر أن يفعله أيضا".

أن الإيمان القوي، يرى الوعد، ويتطلع إلى الله وحده ويهزأ بالصعوبات، ويصبح قائلا "لا بد أن يتم".

إنها إله في أجراء المستحيات (لوقا ١: ٣٧) لأنه "هل يستحيل على الرب شيء" (تكوين ١٨: ١٤) كلا! بل أن "غير المستطاع عند الناس مستطاع عند الله". يتمسك الإيمان بالوعد ويقول "كل شيء مستطاع للمؤمن" (مرقس ٩: ٢٣) ويهتف مع بولس قائلا: "أستطيع كل شيء في المسيح الذي يقويني" (فيلبي ٤: ١٣).

"الشك يرى الصعوبات، أما الإيمان فيرى الطريق: الشك يحدق بالليل، أما الإيمان فيرى النهار، الشك يخاف أن يخطو خطوة، أما الإيمان فيحلق في الأعالي، الشك يتساءل: من يصدق هذا؟ فيجيب الإيمان: أنا."

ولأن الإيمان يعني خرق الأنظمة الطبيعية وتصديق الله لذلك يبدو غير معقول. ليس من المعقول أن يخرج إبراهيم وهو لا يعلم أين يتوجه لكنه صدق وعد الله وأطاع أمره. وحسبه هذا (عبرانيين ١١ : ٨). وليس من الذكاء أن يهجم يشوع على أريحا بدون أسلحة قتالة (يشوع ٦ : ١-٢٠). فأهل العالم يضحكون على مثل هذه المغامرات الجنونية، لكنها أثبتت معقوليتها وتمت مأموريتها.

والحق يقال أن الإيمان هو عين المعقول. ليس من الصواب أن يثق المخلوق في خالقه؟ هل من الجنون أن تؤمن بمن لا يمكن أن يكذب أو يتخلى أو يخدع؟ الثقة في الله هي الأمر المعقول، المنطقي، المقبول الذي يمكن أن يفعله الإنسان. فهو ليس قفزة في الظلام بل أنه يتطلب أقوى تأكيد وأعظم برهان، فيجد هذا التأكيد وهذا البرهان في كلمة الله التي لا تسقط. وما أحد وضع ثقته في الله وخاب قط، ولن يخيب أحد يفعل ذلك فالإيمان بالله لا تحدد به آية مخاطر على الإطلاق.

الإيمان يمجّد الله، ويضعه في مكانه الصحيح، لأنه أهل للثقة التامة دون سواه. أما عدم الإيمان فيبهين الله، إذ يتهمه بالكذب (١ يوحنا ٥ : ١٠) ويحد الإله القدوس (مزمو ٧٨ : ٤١) والإيمان يضع الإنسان أيضا في مكانه الصحيح كمعتمد على الله متضع أمامه، ينحني فوق التراب أمام الرب سيد الجميع.

الإيمان عكس العيان. يذكرنا بولس الرسول بقوله "لأننا بالإيمان نسلك لا بالعيان" (٢ كورنثوس ٥: ٧). والسلوك بالعيان معناه الاعتماد على وسائل منظورة والاستعانة بها، وتدبير احتياطات للمستقبل، واستخدام المهارة البشرية في عمل الضمانات ضد الأخطار غير المنظورة. أما السلوك بالإيمان فهو عكس ذلك. هو الاعتماد على الله وحده في كل لحظة. هو اتكال مستمر على الرب. فالجسد ينفر من موقف الاتكال الكامل على إله غير منظور، ويحاول أن يجد له وسادة يستند إليها ضد الخسائر المحتملة، وفي عدم استقراره يتعرض الانهيارات العصبية، لكن الإيمان يقفز بخطى ثابتة إلى الأمام أطاعة لكلمة الله، ويسمو فوق الظروف، واثقا أن الرب يهتم بكل الاحتياجات.

ولابد الله أن يجرب إيمان كل من تلاميذه فيجد - عاجلا أم آجلا - أن موارده البشرية قد بلغت نهايتها وانقطعت تماما. وفي ضيقه المرير يحاول أن يلجأ إلى رفقاؤه وأصدقائه. وأما إن كان يثق بالرب حقا فيتطلع إلى الرب وحده.

إني أهيئ الرب وأخضعه إذا أعلنت احتياجاتي لأصدقائي مباشرة أو غير مباشرة منتظرا معونتهم فكأنني أصرح أن الله قد تركني وخيب أمني فأكون بذلك قد حدثت عن ينبوع الحي لألتجئ إلى آبار مشققة، ولا ضع نفسي بين يدي المخلوق دون الخالق فأخسر بركات الرب وعطاءه وأسلمه مجده وعظمته.

يجدر بكل تلميذ أن يطلب زيادة إيمانه (لوقا ١٧: ٥). فغليه بعد وضع ثقته في المسيح، أن يسعى إلى مدها إلى سائر نواحي الحياة وإخضاعها لسلطانه وأمرته. ففيما هو يواجه المرض، والتجارب، والمآسي والأحزان، يتسنى له أن يعرف الله بطريقة

جديدة واختبار أعمق وبهذا يتقوى إيمانه. وحينئذ "لنعرف فلنتسبح لنعرف الرب" (هوشع ٦: ٣) وكلما زادت معرفته في قوة الله وقدرته، تاق إلى مزيد من الثقة فيه للتغلب على أمور عظيمة.

وحيث أن الإيمان بالخبر، والخبر بكلمة الله، فإن أقصى ما يتمنى التلميذ ينبغي أن يكون إشباع نفسه بالكتاب المقدس فيقرأه ويدرسه ويحفظه، ويلهج فيه نهارا وليلا فهو خارطته ودليله، ومرشده وعزاه، ومصباحه ونوره.

وفي حياة الإيمان يوجد دائما مجال للتقدم. فعندما ندرس ما حققه الإيمان، ندرك أننا أطفال نلهو على الشاطئ محيط لا نهاية له ولا حدود. وقد ذكرت بعض أعمال الإيمان الجبارة في عبرانيين ١١، ووصلت إلى الذروة في الأعداد ٣٢-٤٠ "وماذا أقول أيضا لأنه يعوزني الوقت أن أخبرت عن جدعون وباراق وشمعون ويفتاح وداود صموئيل والأنبياء. الذين بالإيمان قهروا ممالك، صنعوا برا نالوا مواعيد سدوا أفواه أسود أطعأوا قوة النار نجوا من حد السيف تقووا من ضعف صاروا أشداء في الحرب هزموا جيوش غرباء، أخذت نساء أمواتهن بقيامة. وآخرون عذبوا ولم يقبلوا النجاة لكي ينالوا قيامة أفضل. وآخرون تجربوا في هزة وجلد ثم في قيود أيضا وحبس. رجموا نشروا جلدوا ماتوا قتلا بالسيف طافوا في جلود غنم وجلود معزى معتازين مكروبين مذلين. وهم لم يكن العالم مستحقا لهم. تائهين في برار وجبال ومغاير وشقوق الأرض. فهؤلاء كلهم مشهود لهم بالإيمان لم ينالوا الموعد إذ سبق الله فنظر لنا شيئا أفضل لكي لا يكون لا يكملوا بدوننا."

وفي الختام نقول أننا ذكرنا، في ما سبق، أن العالم يعتبر تلميذ المسيح الذي يسلك بالإيمان حالما أو متعصبا، بل قد يعتبره المسيحيون الآخرون كذلك. ومن المستحسن أن تقتبس كلمة... ماكتوش في هذا الصدد "أن الإيمان الذي يمكن الإنسان من السير مع الله يمكنه أيضا من تقويم أفكار الناس وتقديرها".

٧ الصلاة

الكتاب الوحيد الكافي الذي عالج موضوع الصلاة في أي عصر من العصور هو الكتاب المقدس. أما كل ما كتب عنها في غير الكتاب المقدس فيشعرنا بأن هناك أعماقا لا يمكن الوصول إليها، وأعال لا سبيل لبلوغها. ولا ننوي في هذا الكتيب الصغير أن نحسن أو نزيد على ما كتبه الآخرون. بل كل ما نستطيعه هو أن نلخص بعض المبادئ الهامة للصلاة، لا سيما تلك المبادئ التي تتصل بالتلمذة الحقّة.

١- أفضل الصلوات هي التي تصدر عن حاجة داخلية قوية ملحّة وكم اخترنا جميعا صدق هذا في حياتنا. فعندما تكون حياتنا هادئة ساكنة، تكون صلواتنا ضعيفة فاترة. ولكن عندما نجوز بأزمة، أو نواجه خطرا، أو نقاسي مرضا بالغ الخطورة، أو نجتاز في حزن مرير، تصبح صلواتنا حارة وحيوية ونشيطة. قال أحدهم: "من أراد أن يدخل سهمه في كبد السماء عليه أن يطلقه من قوس منحني تمام الانحناء". وكذلك فالقلب المنحني المنكسر والشعور بالضعف والحاجة تغمر الصلوات المؤثرة التي تصل إلى أذن الله.

ونحن، مع الأسف، ننفق أفضل أيام حياتنا في الجهاد لتأمين المستقبل والحصول على جميع ضروريات الحياة وكمالياتها، وبالوسائل المتعددة البشرية نحصل على ثروة، ونكدس الأموال، حتى لا نشعر بحاجة لشيء. ثم نسأل أنفسنا بعد ذلك: لم ترى صلواتنا منحلّة فاترة؟ ولماذا لا تنزل نار من السماء؟ لو كنا نسلك حقا بالإيمان لا بالعيان، لتفجرت صلواتنا وتأثرت بها حياتنا.

٢- من شروط الصلاة الناجحة أن "نتقدم بقلب صادق" (عبرانيين ١٠: ٢٢). وهذا يرينا وجوب الإخلاص والصدق أمام الرب. فنطرد الرياء، ولا نسأل الله أبدا شيئا في مقدورنا نحن نفعله، مثلا لا نسأل الله أن يدبر مبلغا معيننا من المال لمشروع مسيحي أن كان عندنا نحن أنفسنا فائض من المال يمكن استخدامه في هذا المشروع. فأن الله لا يحدد ولا يؤخذ على حين غرة. وهو لا يجب صلاة سبق أن أجابها، ونحن رفضنا ذلك الجواب. ولا يجوز أن نصلي إلى الله ليرسل عمالا لأعمال نأبي نحن القيام بها. كم من الصلوات رفعت طالبة اهتداء البعدين، غير المسيحيين من بوذيين وهندوسيين ومسلمين ووثنيين وغيرهم! ولو أن جميع أولئك المصلين انطلقوا بإرشاد الرب إلى هؤلاء الناس لاستخدمهم المسيح خير استخدام، ولتغير تاريخ الإرساليات المسيحية وأسفر عن أطيب النتائج المشجعة.

٣- لنصل ببساطة وإيمان أكيد دون ريب. ولا نشغل أنفسنا بالمشكلات اللاهوتية المتعلقة بالصلاة، كي لا تتبلد حواسنا. ولندع علماء اللاهوت يجلون بلاهوتهم المشاكل اللاهوتية المتعلقة بالصلاة، أما نحن فكمؤمنين بسطاء علينا أن نلج أبواب السماء ونقرعها بثقة البنين. قال أغسطينوس: "يغتصب البسطاء السماء ببساطتهم، أما نحن فبكل علمنا لا نسمو فوق اللحم والدم."

٤- أن أردت أن تحصل على قوة الصلاة فلا تحجز شيئا ولا تمنع شيئا، بل سلم الكل تمام التسليم للمسيح، كن له بجملتك. أترك كل شيء واتبع المخلص. الصلاة المشفوعة بالتكريس التام المعترفة بسيادة المسيح وملكه الشامل، هي الصلاة التي يستجيبها الله.

٥- يقدر الله الصلاة التي تكلفنا شيئا. فالذين يستيقظون باكرا ينعمون بشركة مع ذلك الذي في الصبح باكرا جدا قام ومضى إلى موضع خلاء، واختلى مع أبيه منتظرا توجيهاته لليوم الذي أمامه. وكذلك الذين بملء أراذهم يصرفون الليل كله في الصلاة ينعمون بقوة الله التي لا يمكن إنكارها. أما الصلاة التي لا تكلف شيئا فلا تساوي شيئا لأنها "منتوجات" مسيحية رخيصة.

كثيرا ما يربط العهد الجديد بين الصلاة والصوم. فالامتناع عن الطعام يمكن أن يكون مساعدا كبيرا في الرياضات والتدريبات الروحية. وهو من الناحية البشرية يساعد على الصفاء والتركيز وحدة الدهن. ومن الناحية الإلهية يبدو أن الرب يسرّ خصيصا بالصلاة التي نفضلها عن الطعام الضروري.

٦- تجنب الصلاة الأنانية. قال يعقوب في رسالته: تطلبون ولستم تأخذون لأنكم تطلبون رديا لكي تفوقوا في لذاتكم (٤: ٣) أن الثقل الرئيسي في صلاتنا يجب أن تكون الاهتمام بما للرب. يجب أن نصلي أولا "لتكن مشيبتك كما في السماء كذلك على الأرض" ثم نصلي بعد ذلك قائلين "خبزنا كفافنا أعطنا اليوم".

٧- يجب أن نكرم الله بأن نطلب منه طلبات عظيمة لأنه إله عظيم. ليكون لنا إيمان ينتظر أشياء عظيمة من الله. فكم أحزنا الرب بطلباتنا الصغيرة التافهة. كم قنعنا بانتصارات ضئيلة، ورضينا بنتائج حقيرة، وأشواق ضعيفة، لا تمت إلى الأعالي بصلة، لذلك لم ير الذين حولنا أن إلهنا إله عظيم، لم نطبق تعاليمه وإرادته في حياتنا كما يجب ولذلك عجزنا عن أن نمجده أمام الذين لا يعرفونه، فلم نترهم للتساؤل عن سر القوة التي فينا وبذلك لم يمجدوا الله فينا.

٨-علينا أن نصلي حسب مشيئة الله، عندئذ نثق أنه يسمعنا ويحبينا " وهذه هي الثقة التي لنا عنده أنه أن طلبنا شيئا حسب مشيئته يسمع لنا. وأن كنا نعلم أنه مهما طلبنا يسمع لنا نعلم أن لنا الطلبات التي طلبناها منه" (١ يوحنا ٥ : ١٤ و١٥). الصلاة باسم الرب يسوع معناها أن نصلي حسب إرادته. فعندما نصلي باسمه فكأنه هو يصلي ويقدم الطلبة إلى الله أبيه: "مهما سألتكم باسمي فذلك افعله ليتمجد الآب بالابن. أن سألتكم شيئا باسمي فأني افعله" (يوحنا ١٤ : ١٣ و١٤). "مهما سألتكم باسمي فذلك افعله ليتمجد الآب بالابن. أن سألتكم شيئا باسمي فأني افعله" (يوحنا ١٤ : ١٣ و١٤). "وفي ذلك اليوم لا تسألوني شيئا. الحق الحق أقول لكم أن كل ما طلبتم من الآب باسمي يعطيكم. إلى الآن لم تطلبوا شيئا باسمي. اطلبوا تأخذوا ليكون فرحكم كاملا" (يوحنا ١٦ : ٢٣ , ٢٤). "وأقول لكم أيضا أن اتفق اثنان منك على الأرض في أي شيء يطلبانه فإنه يكون لهما من قبل أبي الذي في السموات. لأنه حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي فهناك أكون في وسطهم" (متى ١٨ : ١٩ , ٢٠) أن كنا نطلب باسمه ونصلي باسمه فهذا يعني أنه يمسك أيدينا ويجتو إلى جانبنا فتجري إرادته فينا ويرشدنا إلى ماذا نطلب. هذا معناه أن نصلي باسمه. فاسمه كناية عن شخصه وطبيعته، وبالتالي فالصلاة باسم المسيح معناها أننا نصلي حسب إرادته المباركة. هل يمكن أن نطلب شرا باسم ابن الله؟ إذا صلاتي يجب أن تكون تعبيراً صادقا عن طبيعته. هل أستطيع أن افعل ذلك في الصلاة؟ يجب أن تظهر في صلواتنا نفخة قوة الروح القدس، وفكر المسيح، ورجبات المسيح فينا ولأجلنا. ليت الرب يعلمنا أن نصلي باسمه وحسب مشيئته، وليس فقط أن نحتم الصلاة بهذه العبارة: "نطلب هذا باسم المسيح ربنا المبارك". فهذا لا يكفي فأن

الصلاة كلها يجب أن تتشبع وتتشرب باسم المسيح المبارك، وأن تكون حسب ما تقتضيه طبيعة هذا الاسم.

٩- إذا أردنا أن ننال نتيجة صلواتنا فعلينا أن نتحاسب مع الله يوما بعد يوم أي يجب أن نعترف بخطايانا ونتركها حالما نشعر أنها دخلت إلى حياتنا. "أن راعيت أثما في قلبي لا يستمع لي الرب" (مزمو ٦٦ : ١٨). يجب أن نثبت في المسيح "أن نثبت في وثب كلامي فيكم تطلبون ما تريدون فيكون لكم" (يوحنا ١٥ : ٧) فالشخص الذي يثبت في المسيح يمكث بالقرب منه ويمتلئ من معرفة إرادته، يستطيع أن يصلي بذهنه واثقا من الجواب. والمكوث بقرب الرب يدعونا إلى أطاعة وصاياه إطاعة عمياء بل يأمرنا بها: "ومهما سألنا ننال منه لأننا نحفظ وصاياه ونعمل الأعمال المرضية أمامه" (١ يوحنا ٣ : ٢٠). وأن أردنا أن نسمع صلواتنا وتستجاب فعلينا أن نضع أنفسنا بين يديه لتكون مرضية أمامه.

١٠- لا يجوز أن نكتفي بالصلاة في أوقات معينة محدودة أثناء اليوم، بل علينا أن ننمي في أنفسنا روح الصلاة، فننظر إلى الرب بلا انقطاع ونحن نمشي في الشارع أو نسوق السيارة أو نشغل في المكتب أو نخدم في البيت. وقد قدم لنا نميا مثلا عن هذه الصلاة الدائمة التلقائية (نحميا ٢ : ٤) فما أحسن أن نسكب في ستر العلي بدلا من أن تكون لنا زيارات متقطعة إليه.

١١- أخيرا نصلي لأمر معين محددة وألا كيف ننتظر الإجابة أن لم يكن الطلب محددًا ومعينًا.

أن في الصلاة امتيازاً عجبياً إذ بها نستطيع_ كما قال همدسون تيار_ أن نحرك الإنسان بواسطة الله. قال: جويت "ما أعظم القوى التي تضعها الصلاة بين أيدينا. وبواسطتها نقوم بمعجزات عظيمة. فأنا نستطيع أن نحمل نور الشمس إلى الأماكن المظلمة الباردة، وأن نضيء مصباح الرجاء في سجن اليأس وأن نحل سلاسل السجناء وقيودهم، وأن نحمل نجات وومضات وخواطر عن بيتنا السماوي إلى من يجهلونه وأن ننعش الفاترين الضعفاء بنسمات سماوية منعشة ولو كانوا يعملون عبر البحار. هذه بعض معجزات الصلاة".

وشهد أيضاً كاتب يدعى "ونهام" فقال "أن الكرازة موهبة نادرة لكن الصلاة أندر. الكرازة سلاح كالسيف نستخدمه في محيطنا مع الذين هم من حولنا، لكن لا يمكن أن يصل إلى البعيدين. أما الصلاة فمثل بندقية بعيدة المدى، نصل بها إلى الأصقاع البعيدة كما أنها تطيب الأماكن القريبة".

فالصلاة، يا إلهي تغيّر شعور نفسي وتفكير ذهني. أن ساعة في حضرته تزيل حملي الثقيل وهمي المضني.

أجنو أمامك ضعيفا حقيرا، واقف جبارا قويا،
لم أثقل نفسي بالهموم واحنيها بالأنات
وأنت بقربي تشدد وتعين يا إله البركات
انفخي بروح الصلاة فاذلل كل العقبات
وانتصر على الهموم والكروب والسقطات
فيك تجد نفسي القوة والسرور والبهجة
أنا لك ربي بين يديك.

٨ الحرب

لا يستطيع أحد أن يقرأ العهد الجديد، ولو بصورة عريضة، دون أن يدرك أن برنامج المسيح على الأرض يوصف وكأنه حرب ونضال. فأن المسيحية الحقيقية أبعد ما تكون عن المسيحية العصرية التي هي أشبه بتسليات "أرغن المتسولين" وهي في حقيقتها تختلف كل الاختلاف عن عيشة الترف وعن حياة اللذة التي تنشر بين الناس اليوم، فأثما بالأحرى جهاد حتى الموت، ونضال لا ينقطع ضد قوات الجحيم. ولا يستحق تلميذ أن يكون ملح الأرض ما لم يدرك أن المعركة قد نشبت وأنه لا يمكن إخمادها.

ويتحتم أن يكون هناك وحدة في الحرب. فلا وقت للمنازعات والمباحكات الصغيرة والغيرة الحزبية، والولاء المنقسم: فكل بيت ينقسم على ذاته يخرب. من أجل هذا وجب على جنود المسيح أن يتحدوا، والتواضع هو السبيل إلى الوحدة. هذا ما نتعلمه من الإصحاح الثاني من رسالة فيليبي. فمن المستحيل أن يكون هناك نزاع مع إنسان متواضع حقاً. ولا بد من اثنين حتى يقوم نزاع. والنزاع أو المخاصمة تأتي من الكبرياء. وحينما انتفت الكبرياء انتفى النزاع.

تتطلب حياة الحرب الزهد والتقشف والتضحية. ولا بد للانتصار من التضحية. لذلك علينا نحن المسيحيين أن نضحى بكثير من نفقاتنا، فنستخدم مواردنا في جهادنا وحرينا.

قليلون استطاعوا أن يروا هذه الحقيقة بجلاء كما رآها تلميذ للمسيح من الشباب المتجددين حديثاً اسمه ر.م. كان هذا الشاب رئيس الصف الأول في مدرسة مسيحية. وفي أثناء رئاسته هالته النفقات التي اعتادوا إنفاقها على فرق الصف وعلى

الهدايا التي تمنح للصف في بعض المناسبات. ولكن هذا الشاب إذ رأى أن هذا النفقات لا تؤول إلى تقدم الإنجيل. استقال من وظيفته كرئيس للصف، ووزع على زملائه في يوم استقالته خطابا هذا نصه:

أيها الزملاء الأعزاء

عندما بحثت في النفقات والهدايا المعتاد توزيعها على فرق الصف أمام المجلس، رأيت لزاما على كرئيس للصف أن اتخذ موقفا مسيحيا إزاء هذه الأمور.

أعتقد أننا نجد فرحا أعظم لو بذلنا أنفسنا، وأموالنا للمسيح وللآخرين. فنجد بذلك صدق قوله "من أضع حياته من أجلي يجدها".

أن إنفاق المال والوقت على هذه الأشياء لا تنتج منها نتائج مباشرة لغير المؤمنين، فنحن عن طريقها لا نشهد ولا نبني كنيسة الله، وهذا يبدو مناقضا لمبدأنا، سيما والحقائق المؤلة تؤكد أن ٧٠٠٠ شخص يموتون يوميا من الجوع، ونحو نصف سكان العالم لم يسمعوا قط عن رجاء الإنسان الوحيد. أليس من الأفضل أن نستخدم المال في سبيل تمجيد الله ونشر الإنجيل بين سكان العالم الذين لم يسمعوا قط عن يسوع المسيح وبين البيوت الكثيرة في محيطنا بدلا أن ننفقه على حفلاتنا وملذاتنا التي تستنفد وقتنا ولا طائل منها؟

وبما أنني أعلم يقينا أن هنالك حاجات ملحة وفرضا كثيرة سائحة يمكن أن تنفق فيها الأموال لنشر ملكوت الرب يسوع ومجده عن طريق خدمة الآخرين في بلادنا وخارجها، فمن المستحيل عليّ أن اسمح _بصفتي رئيس الصف_ بأن تنفق أموال الصف على أنفسنا بدون مبرر.

فلو كنت أحد هؤلاء المحتاجين المعوزين، لرجوت كل الذين بإمكانهم مساعدتي أن يبذلوا ما في طاقتهم لسد أعوازي وإفساح المجال لي للتمتع بإنجيل المسيح وخلاصه. "وكما تريدون أن يفعل الناس بكم افعلوا هكذا أنتم أيضا بهم". "وأما من كان له معيشة العالم ونظر أخاه محتاجا وأغلق أحشائه فكيف تثبت محبة الله فيه؟" لذلك فأني بروح الخبة والصلاة طالبا أن تروا أن الرب يسوع أعطى كل ما له (٢ كورنثوس ٨: ٩) أتشرف بتقديم استقالتي لكم كرئيس للصف سنة ١٩٦٣.

زميلكم بالرب يسوع"

٠٠٠

الألم ملازم للحرب . فإذا كان الشباب اليوم يريدون أن يبذلوا حياتهم عن طيب خاطر في سبيل وطنهم، فكلم بالأحرى يجب على المسيحيين أن يكونوا أكثر استعدادا لبذل حياتهم عن طيب خاطر لأجل المسيح ولأجل الإنجيل! لأن الإيمان الذي لا يكلف شيئا لا يساوي شيئا. وأن كنا نهتم بالرب يسوع، فيجب أن يكون هو الكل في الكل بالنسبة لنا. فلا يؤخرنا عن خدمته خوف من خطر، ولا محبة ذاتية ولا عناية جسدية.

لما أراد بولس الرسول أن يدافع عن رسالته ضد المنتقدين من صغار النفوس لم يشير إلى مركزه العائلي ولا إلى ثقافته ولا إلى امتيازاته العالمية بل أشار بالحري إلى آلامه لأجل الرب يسوع المسيح.

"أهم خدام المسيح. أقول كمختل العقل: فأنا أفضل في الأتعاب أكثر، في الضربات أوفر، في السجون أكثر، في الميتات مرارا كثيرا: من اليهود خمس مرات قبلت

أربعين جلدة ألا واحدة. ثلاث مرات ضربت بالعصي. مرة رجمت. ثلاث مرات انكسرت بي السفينة. ليلا ونهارا قضيت في العمق. بأسفار مرارا كثيرة، بأخطار سيول. بأخطار لصوص. بأخطار من جنسي. بأخطار من الأمم. بأخطار في المدينة. بأخطار في البرية، بأخطار في البحر، بأخطار من أخوة كذبة. في تعب وكدّ، في أسفار مرارا كثيرة، في جوع وعطش. في أصوام مرارا كثيرة. في برد وعري. عدا ما هو دون ذلك. التراكم عليّ كل يوم. الاهتمام بجميع الكنائس" (٢ كورنثوس ١١ : ٢٣-٢٨).

وفي مناشدته النبيلة وتحديه السامي لابنه تيموثاوس حصّه قائلا:

"فاشترك أنت في احتمال المشقات كجندي صالح ليسوع

المسيح". (٢ تيموثاوس ٢ : ٣).

الطاعة العمياء إحدى متطلبات الحرب. فالجندي يطيع أوامر قائده دون استفهام أو تأجيل. فأن كان القائد الأرضي ينتظر هذا النوع من الطاعة من جنوده أفلا يجدر بالرب يسوع أن يطلبها في اتباعه. ألا يجدر بخالق العالم ومخلصه أن ينتظر طاعة عمياء، من اتباعه فيذهبون أنى يرسلهم دون تأجيل أو تفضيل؟

وتتطلب الحرب مهارة في استخدام الأسلحة. وأسلحة المسيحي هي الصلاة وكلمة الله. فعليه أن يواظب على الصلاة الحارة بلجاجة لأنها الوسيلة الوحيد التي تستطيع أن تدم حصون العدو. وعليه أيضا أن يكون ماهرا بارعا في استخدام سيف الروح الذي هو كلمة الله. فالعدو يستخدم كل حيلة ممكنة ليسقط ذلك السيف من يده، فيلقي عليه ظلا من الشكوك في وحي الكتاب المقدس، ويشير إليه بما هنالك من مناقضات مزعومة، ويفرقه بحجج مناقضة من العلم والفلسفة والتقاليد البشرية ليصدّه

عن الإيمان. لكن على جندي المسيح أن يقف راسخا في أساسه، شاهرا سلاحه القاطع ليستخدمه في وقت مناسب أو غير مناسب.

تبدو أسلحة المسيحي الحربية ضعيفة وغير لاثقة في نظر أهل العالم. فالخطة التي استخدمها يشوع في الانتصار على أريحا تبدو غبية في نظر القادة العسكريين اليوم. وجيش جدعون الصغير يثير كثيرا من الهزء والسخرية. وماذا نقول في مقلع داود، ومنساس البقر في يد شجر، وجيش الله الصغير ممن يحسبهم أهل العالم من الأغبياء على مر العصور؟ الذهن الروحي يعرف أن الله لا يهتمه ضخامة المدفيعات، لكنه بالأحرى يحب أن يستخدم الضعفاء والفقراء والمزدري بهم في هذا العالم ليمجد نفسه بواسطتهم.

والحرب تتطلب أيضا معرفة العدو واستراتيجيته. وهكذا هي حال الحرب المسيحية: "فإن مصارعتنا ليست مع دم ولحم بل مع الرؤساء مع السلاطين مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر مع أجناد الشر الروحية في السماويات" (أفسس ٦: ١٢). ونحن نعلم أن "الشیطان نفسه يغير شكله إلى شبه ملاك نور. فليس عظيما أن كان خدامه أيضا يغيرون شكلهم كخدام للبر. الذين فماتيتهم تكون حسب أعمالهم" (٢كو ١١ : ١٤ و١٥). ويعرف الجندي المسيحي المدرب أن أمر مقاوميه هم قادة الدين. لا يقاومه السكر، أو اللص، أو الزانية، بل خدام الدين. أما سمر قادة الدين مسيح الله على الصليب، أما اضطهدوا الكنيسة الأولى، أما لاقى بولس الرسول أشد الهجمات الوحشية على أيدي الذين اعترفوا بأنهم خدام الله. هذا ما حدث على مر السنين، فإن خدام الشيطان يغيرون شكلهم إلى خدام للبر، يتحدثون بلغة الدين، يلبسون ثياب الدين، يعلمون بتقوى وورع، لكن قلوبهم مملأى بغضا للمسيح وللإنجيل.

والحرب تتطلب تركيزا لا تشتت فيه، لأنه "ليس أحد وهو يتجند يرتبك بأعمال الحياة لكي يرضى من جنده" (٢ تيموثاوس ٢: ٤). وكذلك تلميذ المسيح يتعلم بالأب يتساهل في أي شيء يحول بينه وبين التكريس التام للرب يسوع. فهو يصمد جامدا دون أن يعثر، يقف راسخا ثابتا، ولكن ضمن حدود اللياقة والأدب، له هدف واحد، يستنفد في سبيله كل حماسه وقواه، ويضحى لأجله بكل غال وثمين.

أما الشجاعة فضرورية جدا لمواجهة الخطر. "من أجل ذلك ألبسوا سلاح الله الكامل لكي تقدرُوا أن تقاوموا في اليوم الشرير، وبعد أن تتمموا كل شيء أن تثبتوا" (أفسس ٦: ١٣ و١٤). ذكر أن الجندي المسيحي (أفسس ٦: ١٣-١٨) لا يرتدي درعا على ظهره، لأنه لا مكان للتقهقر والانسحاب. ولماذا الانسحاب؟ مادام "في هذه جميعها يعظم انتصارنا بالذي أحبنا"، فلا يقدر أن يتغلب علينا أحد، أو يهزمننا أحد لأن الله معنا، وأن كان الظفر مؤكد لنا قبل أن نبدأ المعركة، فكيف نفكر في التقهقر والانسحاب؟ بل نتقدم إلى المعركة ونحن نرثم:

حربنا العظمي تشب	كاللظى الشديد
أثما الفادي احب	قائد مجيد
نعمة الرب العظيمة	ضعفنا تعين
كيف نخشى من هزيمة	نصرنا مبین

٩ السيادة على العالم

دعانا الله للسيادة على العالم. فقد قصد أن نولد رجالا ونموت أبطالا. ولم يقصد قط أن نقضي حياتنا سعيًا وراء مطامع دنيئة زائلة.

عندما خلق الله الإنسان، سلطه على الأرض. وتوجه بالمجد والكرامة، وأخضع كل شيء تحت قدميه، ووضع هذا الإنسان المتوجّج بالمجد والسلطان قليلا عن الملائكة. ولما اخطأ آدم، فقد الإنسان كثيرا من السلطان الذي أعطي له. فتضعض سلطانه وخذت سيادته.

والإنجيل يعلمنا كيف نستعيد سيادتنا التي لا تقوم على إخضاع الكلاب الجالحة، أو الحيات السامة، بل بالسيادة على الأمم وعبدة الأوثان وأقاصي الأرض وامتلاكها وذلك عن طريق نشر الرسالة المسيحية. ولا يسعنا أن نستعمر العالم للملكوت الرب وسلطانه ألا بالحياة الطاهرة والأخلاق المسيحية السامية المشابهة لحياته وأخلاقه. لم يجتبر آدم كرامة هذه الدعوة المسيحية. فنحن كمؤمنين شركاء مع الله في فداء العالم. قال أحدهم: "هذه هي مسؤوليتنا، أن نمنح الناس ونتوجههم باسم الرب إلى سيادة الحياة، إلى السيادة على النفس، إلى الخدمة لأجل الملكوت".

فشل الكثيرون في حياتهم ويسوا لأنهم أساؤوا استعمال هذه الدعوة العليا. اقتنعنا بأنفاق سني حياتنا في أشياء ثانوية وأمور صغيرة، أننا نكتفي بالزحف بدلا من التحليق. ونعيش عبيدا بدلا من أن نعيش ملوكا. وما أقل الذين يطمحون في توسيع ملكوت المسيح.

من هؤلاء القلائل جدا كان سبرجن، فكتب لابنه رسالة مؤثرة يقول فيها:
"إذا أراد الله لك أن تكون مرسلا، فلا أريد لك أن تموت مليونيرا. وأن اهلك الله لأن
تكون مرسلا، فلا أريد لك أن تمبط لتكون ملكا. ما قيمة الملوك والرؤساء، والبيجان،
لو اجتمعت معا بالنظر إلى ربح النفوس للمسيح والبناء لأجل اسمه بناء على أساس لم
يضعه آخر، ما قيمة هذه كلها بالنسبة للكراسة بالإنجيل المسيح في أماكن بعيدة لم يصل
إليها أحد من قبل".

ومن هؤلاء القلائل أيضا جون موط، المرسل الشهير، الذي لما طلب منه
الرئيس كوليدج أن يكون سفيرا لليابان، أجاب: "يا سيدي الرئيس، مذ دعاني الله لأن
أكون سفيرا له صمّت أذناي عن كل دعوة أخرى".

ويحدثنا بلي غراهام عن مثل ثالث: لما كانت شركة "ستاندارد أويل" تبحث
عن شخص يمثلها في الشرق الأقصى، وقع اختيارهم على ممثل، فقدموا له عشرة آلاف
دولار فرفض، ثم عرضوا عليه خمسة وعشرون ألفا فرفض، ثم عرضوا عليه خمسين ألفا
فرفض. فسألوه لماذا؟ فأجاب: "أن الراتب الذي تقدمونه كبير، لكن العمل صغير جدا.
فقد دعاني الله إلى عمل أعظم وهو نشر ملكوته".

أن دعوتنا المسيحية أعظم بل أنبل دعوة في الوجود، فإذا أدركنا ذلك نرقى
إلى مستوى نبيل، فلا أفخر بدعوتي لأن أكون مهندسا، أو عالم فيزياء، أو طبيب أسنان
بل أفخر بأبي مدعو لأن أكون رسولا " وأما هذه الأشياء الأخرى فهي مجرد توافه لا
قيمة لها. عند ذلك نرى أنفسنا مدعويين لنركز بالإنجيل للخليقة كلها، وأن نتلمذ جميع
الأمم، وأن نبشر العالم بأسره.

أما كيف يصل الإنجيل إلى كل العالم في عصرنا فسؤال بسيط جدا. لا يعوزنا لذلك ألا رجال ونساء يحبون الله من كل قلوبهم ويحبون قريبهم كأنفسهم ويخدمون الإنسانية بمحبة حقيقية وتضحية مسيحية مكرسين ذواتهم تكريسا تاما لله ورسالته لأن من تحصرهم محبة المسيح لا يتعظمون أية تضحية مهما بلغت في سبيل خدمته. وهم يعملون من فرط محبتهم للمسيح ما لا يمكن أن يقدموه ولا أن يفعلوه في سبيل أي ربح دنيوي، حتى نفوسهم لا تثن لها في نظرهم، ينفقون وينفقون، في سبيل نشر الرسالة كي لا يهلك أناس من جهلهم الإنجيل. وهم يصلون مع جيمس ستوروات قائلين: "أيها الرب المصلوب، امنحني قلبا مثل قلبك، وعلمي أن أحب نفوس الناس المائتة، واحفظ قلبي في شركة دائمة معك، وامنحني مزيدا من المحبة _ محبة الجلجثة النقية _ حتى آتي بالهالكين إليك."

لا يمكن أن ينجح المرسلون ما لم تكن المحبة دافعهم الوحيد لأن كل شيء غيرها لا يساوي شيئا فتصبح الخدمة "نحاساً يطن أو صنجا يرن"، وعلى العكس، فأثما تنجح وتزدهر، وتنشر رسالة المسيح، إذا كانت المحبة نجمها الهادي.

تأمل فريقا من التلاميذ كرسوا نفوسهم ليسوع المسيح، وطاقوا يجوبون البر والبحر كارزين بالرسالة الجيدة، وهم يسعون إلى مناطق جديدة بغير ملل، ويرون في كل شخص نفسا مات المسيح لأجلها، ويبدلون جهدهم لإقناعها بحقيقة المسيح وعبادته، فما هي، ترى، الوسائل التي يستخدمها ذلك الفريق المندفع لإعلان المسيح وتعريف الجميع به؟

يقدم العهد الجديد مبدئين رئيسيين لهذه الغاية. الأول: المناادة بما علنا، والثاني: التلمذة إفراديا.

وقد استخدم المسيح وتلاميذه الوسيلة الأولى باستمرار. فحيثما وجدوا أناسا مجتمعين اتخذوا من اجتماعهم فرصة سانحة للكرازة بالإنجيل، وتقديم الأخبار السارة. ولذلك نجد اجتماعات تزداد فيها بشارة الإنجيل في الأسواق، وفي السجون، وفي الجامع، وعلى شواطئ البحار والأهوار. وذلك لأن الرسالة السامية الملحة لا تحصر في أماكن الاجتماعات الرسمية.

وكانت الطريقة الثانية لنشر الإيمان هي الطريقة الفردية وربح الإنسان الواحد للرب. وقد استخدم الرب يسوع هذه الطريقة في تدريب تلاميذه الاثني عشر. فدعا هذا الفريق القليل العدد ليكونوا معه، رسلا له. وظل يعلمهم يوما بعد يوم، ويشبتهم في حق الله. وكان يضع أمامهم باستمرار العمل الذي عينه لهم ودعاهم للقيام به. وأنبأهم بالتفصيل عما سيلاقونه من أخطار وصعوبات. وادخلهم إلى أسرار مشيئة الله، وجعلهم شركاءه في الخطة الإلهية المحيطة بالصعبة. ثم أرسلهم كحملان في وسط ذئاب. وألبسهم قوة الروح القدس، فخرجوا إلى العالم يخبرونه بالمخلص المقام الممجّد. وكانت النتيجة أن أولئك الأحد عشر بعد خيانة يهوذا، قلبوا العالم رأسا على عقب، وأتوا به إلى المسيح.

ويولس الرسول لم يمارس هذه الطريقة فقط، بل حضّ أيضا تيموثاوس على ممارستها قائلا له: "وما سمعته مني بشهود كثيرين أودعه أنا أناسا أمناء يكونون أكفاء أن يعلموا آخرين أيضا" (٢ تيموثاوس ٢: ٢). فالخطوة الأولى لنجاح هذه الخطة هي اختيار

أناس أمناء، بعد الصلاة والتدقيق. والخطوة الثانية هي إيصال الرؤيا الجيد لهم. والخطوة الثالثة هي إرسالهم ليتلمذوا الآخرين (متى ٢٨ : ١٩).

وقد تبدو هذه الخطة متعبة سخيفة غير مجدية ولا سيما للذين يفضلون الجموع المحتشدة، ويطمحون للجماهير الغفيرة لكن الله يعرف ما يعمل، وطريقته هي أفضل الطرق، فما يقوم به عدد كبير من التلاميذ المكرسين، أعظم جدا مما يقدر عليه جيش جرار من المتدينين الذين همهم إرضاء أنفسهم.

عندما يخرج هؤلاء التلاميذ لتأدية رسالتهم باسم المسيح عليهم أن يتبعوا مبادئ أساسية ذكرت خطوطها العريضة في كلمة الله. فعليهم أولا أن يكونوا حكماء كحيات وبسطاء كحمام. يعتمدون على حكمة الله لسير في طريقهم الشائك الصعب، ودعاء متواضعون في اتصالاتهم بأخوتهم البشر، لا يخشى أحد بطشهم ولا قوتهم الجسدية بل يخافون شهادتهم التي لا تنقطع وصلواتهم التي لا تكل ولا تمل.

لا يتحزب هؤلاء التلاميذ ولا يتدخلوا بالسياسة العالمية فلا يحاولون انقلابا أو حربا أو اعتناق عقيدة سياسية، بل يعملون تحت أي نظام من نظم الحكومة، ويخلصون له شرط إلا يمس شهادتهم أو يدعوهم إلى إنكار سيدهم. أما أن جاوز الأمر هذا الحد، فهم يرفضون الطاعة والخضوع، متحملين النتائج مهما كانت لأنه: "ينبغي أن يطاع الله أكثر من الناس". على أنهم لا يتآمرون ضد أي حكومة بشرية كما أنهم يخلصون تمام الإخلاص لسيدهم والملكوته الذي ليس من هذا العالم. ألم يقال المسيح "ملكوتي ليست من هذا العالم. لو كانت ملكوتي من هذا العالم لكان خدامي يجاهدون ولكن الآن ليست ملكوتي من هنا". هؤلاء التلاميذ هم سفراء للمملكة السماوية، وهم لذلك غرباء في

هذا العالم ونزلاء. أنهم أمناء في كل معاملاتهم، وهم يتجنبون كل نوع من أنواع الغش والاحتيايل. "نعمهم" نعم "ولاهمهم" لا. يرفضون النظرية الشائعة القائلة بأن الغاية تبرر الوساطة، أن الكذبة البيضاء مسموح بها، لا يسمحون لأنفسهم تحت أي ظرف أن يعملوا الشر لكي يأتي الخير. ولكل منهم ضمير حي يفضل الموت على الخطية.

مبدأ آخر يتبعه هؤلاء الناس، بطرق متنوعة، هو أن يربطوا عملهم بكنيسة محلية. فيذهبون إلى الحقول الميضة للحصاد ليرجوا نفوسنا للرب يسوع، وبعد ذلك يقودونهم إلى كنيسة محلية لكي يتقوا ويبنوا على الإيمان الأقداس. ولا عجب فإن تلاميذ المسيح الحقيقيين يدركون أن الكنيسة الخلية هي الوحدة الأساسية التي وضعها المسيح على الأرض لنشر الإيمان، وعن طريقها تقوم الأعمال الفاضلة الخالدة. وهؤلاء التلاميذ حكماء، يتجنبون التحالف الذي يوقعهم في الفخاخ والاشتباكات، أيا كان نوعها. ويرفضون بشدة أن يسمحوا لأية سلطة بشرية أو نظام بشري أن يجلي عليهم ما يريد. يتلقون أوامرهم من رئاستهم السماوية. ويعملون مع أخوتهم المسيحيين في الكنيسة المحلية بملء الثقة أن عملهم ليس ألا بحسب إرادة الله ومع هذا فهم يصرحون على ضرورة خدمة المسيح بمنتهى الطاعة لكلمته والاسترشاد به. وأخيرا فهؤلاء التلاميذ لا يظهرون أنفسهم، لأنهم يكرهون حب الظهور فيعملون خفية بدافع واحد أساسي هو تمجيد الرب يسوع وأعلانه للآخرين.

فهم لا يطلبون أشياء عظيمة لأنفسهم ولا يريدون أن يعلنوا خطتهم للعدو.
وهم يعملون في هدوء ونشاط وهمة غير عابئين بما يقدمه لهم الناس من مدح أو ذم،
عالين أن من السماء جزاء عملهم الأفضل.

١٠ التلمذة والزواج

"يوجد خصيان خصوا أنفسهم لأجل ملكوت السموات"

إحدى المسائل الرئيسية التي يواجهها كل تلميذ هي: هل دعاه الله إلى حياة الزواج أم إلى حياة العزوبة؟ وهذا بالطبع مسألة شخصية بحتة يتوخى فيها الفرد إرشاد الرب. فلا يقدر أحد أن يشرع لغيره في هذا الموضوع أو يتدخل في أموره لأن التدخل خطر.

تعليم الكتاب المقدس واضح في هذا الصدد، فالزواج فريضة رتبها الله للجنس البشري لأغراض عدة منها ما يلي:

١- للشركة والبهجة، فإن الله قال "ليس جيدا أن يكون آدم وحده". (تكوين ٢: ١٨).

٢- لبقاء الجنس البشري. وهذا واضح من قول الرب "اثمروا وأكثروا وأملأوا الأرض" (تكوين ١: ٢٨).

٣- لحفظ العائلة والمجتمع من الفساد "لسبب الزنا ليكن لكل واحد امرأته (١ كورنثوس ٧: ٢).

وليس في كلمة الله ما يشير إلى أن الزواج نقيض لحياة الطهارة والولاء والخدمة للمسيح. بل بالحري يذكرنا الكتاب أن الزواج ينبغي أن يكون مكرما والمضجع غير نجس (عبرانيين ١٣: ٤) ويقول الوحي "من يجد زوجة يجد خيرا" (أمثال ١٨: ٢٢). وكلمات الجماعة "اثنان خير من واحد" (جامعة ٤: ٩). قد تطبق على الزواج لا سيما إذا كان الاثنان يرتبطان معا في خدمة الرب. ولعل التأثير الفعال للعمل

المشترك الذي يشير إليه سفر التثنية حيث يقول "يطرد واحد ألفا ويهزم اثنان ربوة" (تثنية ٣٢: ٣٠) يصلح أكثر ما يصلح في موضوع الزواج.

ومع ذلك، ولو أن الزواج هو إرادة الله للجنس البشري عامة، فلا يعني ذلك بالضرورة أنه إرادة الله لكل فرد. فمع أن الزواج حق لا نزاع فيه لكل تلميذ للمسيح، فإن للتلميذ أن يتنازل باختياره عن هذا الحق لكي يقدم خدمة للمسيح لا ينازعه فيها منازع.

ولقد لاحظ الرب يسوع أن ملكوته سيضم أناسا يرغبون بمحض إرادتهم أن يكونوا خصيانا فقال: "يوجد خصيان ولدوا هكذا من بطون أماتهم. ويوجد خصيان خصاهم الناس ويوجد خصيان خصوا أنفسهم لأجل ملكوت السموات. من استطاع أن يقبل فليقبل" (متى ١٩: ١٢).

وهكذا كما هو واضح عهد شخصي تطوعي يأخذه الشخص على نفسه نتيجة عاملين:

- ١- شعوره بأن الله يرشده إلى عدم الزواج.
- ٢- رغبته في أن يبذل نفسه بأكثر ما يمكن في عمل الرب، بدون أن يعرقه ارتباطه بمسؤوليات عائلية.

لا بد إذا لمن يقدم على أمر كهذا أن يكون متأكدا ومقتنعا بإرادة الله ودعوته (١ كورنثوس ٧: ٧) فبهذا الاقتناع وحده يستطيع التلميذ أن يتأكد أن الرب سيمنحه النعمة التي يحتاج إليها للعفة.

ثانيا: لا بد لمن يقدم على هذا العمل أن يقدم عليه متطوعا مختارا. فإذا صارت العزوبة إلزاما كنسيا تعرضت الطهارة والخلق لخطر جسيم. وأظهر الرسول بولس أن غير المتزوج ينصرف أكثر لخدمة الرب، فقال: "غير المتزوج يهتم في ما للرب كيف يرضي الرب. وأما المتزوج فيهتم فيما للعالم كيف يرضي امرأته" (١ كورنثوس ٧: ٣٢ و٣٣).

لهذا السبب عبّر الرسول عن رغبته في أن يقتدي غير المتزوجين والأرامل به، أي أن يلبثوا غير متزوجين (١ كورنثوس ٧: ٨). أما الذين سبق لهم أن تزوجوا فيشدد عليهم الرسول أنه بسبب قصر الوقت، يجب أن يجعلوا كل شيء ثانويا بالنسبة إلى العمل العظيم، وهو تقديم المسيح للجميع. وقد قال في هذا الصدد:

"فأقول هذا أيها الأخوة، الوقت منذ الآن مقصر، لكي يكون الذين لهم نساء كأن ليس لهم. والذين سيكون كأنهم لا يكون، والذين يفرحون كأنهم لا يفرحون، والذين يشتررون كأنهم لا يملكون. والذين يستعملون هذا العالم كأنهم لا يستعملونه. لأن هيئة هذا العالم تزول" (١ كورنثوس ٧: ٢٩-٣١).

هذا لا يعني بالطبع أن يتصل الإنسان من مسؤولياته العائلية، ويترك زوجته وأولاده، ويذهب مرسلا إلى البعيد. لكنه يعني أنه يجب عليه ألا يعيش لإشباع ملذات الحياة البيتية، وألا يتخذ من زوجته وأولاده مبررا لاعطاء المسيح المكان الثاني في حياته. كان شارلي استاد يخشى أن تعطيه زوجته المكان الأول في حياتها عوضا عن الرب يسوع.

وقد كتب بولس الرسول "الوقت مقصر" واستطرد يقول "لكي يكون الذين لهم نساء كأن ليس لهم..."

أن المأسة الأليمة هي أن التسرع في الزواج أو الاندفاع إليه دون إرشاد إلهي أكيد، كثيرا ما يصبح فخا يستخدمه الشيطان ليعطل التلميذ الغيور عن العمل ويشبه عن الخدمة المكرسة لسيدته. وكم من رواد طموحين افسد الزواج المتسرع خدمتهم لسيدهم.

قال وبلي غوستافسون:

"الزواج.... عدو لدود لإتمام إرادة المسيح الذي يريد أن يسمع الجميع رسالته. صحيح أن الزواج مرتب من الله، لكن عندما يعترض سبيل إتمام إرادة الله، يصبح وبالاً خطيراً. وفي استطاعتنا أن نذكر عددا كبيرا من الناس رجال ونساء أهملوا الدعوة عند سماعها نزولا عند رغبة أحد الأقارب أو شريكة الحياة أو شريكها. فتعطلت دعوتهم وأهملوا غرض الله في حياتهم فحسروا نفوسا كثيرة ماتت بلا مسيح وكان بإمكانهم ربحها.. وكم من نفوس تموت اليوم بلا مسيح. فلعله من الأفضل لخدام الكلمة ألا يتزوجوا."

قال أحدهم: " على الرجال والنساء الذين في المقدمة كطليعة الجيش، أن ينكروا أنفسهم ويجرموها حتى من ضروريات الحياة، فضلا عن متعتها ولذاتها ولو كانت شرعية. ويقضي عليهم الواجب أن يحتملوا المشقات، كجنود صالحين، وأن لا يرتبكوا بأمور الحياة، وأن يطرحوا كل ثقل كأبطال رياضيين مدربين... ليس عملهم ألا دعوة ورسالة، وتكريسا لخدمة خاصة. "

وقد وعد جميع من يسمعون الدعوة ويلبونها بمكافأة خالدة أكيدة، فقد وعد الرب تلاميذه قائلاً:

"الحق أقول لكم... كل من ترك بيوتا أو أخوة أو أخوات أو أبا أو أما أو امرأة أو أولادا أو حقولا من أجل اسمي يأخذ مئة ضعف ويرث الحياة الأبدية" (متى ١٩: ٢٨ و٢٩).

١١ حساب النفقة

لم يملق الرب الناس لقبول الإيمان، ولم يحاول قط أن يقنعهم بسهولة بل على العكس فقد شرح لهم شروطه الصعبة وتكاليفه الباهظة التي لا تقبل المواربة أو التعديل. فأنذر سامعيه بأن كل من يريد أن يتبعه يجب عليه أن يجلس أولاً وبحسب النفقة فقال: "من منكم وهو يريد أن يبني برجاً لا يجلس أولاً وبحسب النفقة هل عنده ما يلزم لكماله. لئلا يضع الأساس ولا يقدر أن يكمل. فابتدئ جميع الناظرين يهزأون به قائلين هذا الإنسان ابتداء يبني ولم يقدر أن يكمل. وأي ملك أن ذهب لمقاتلة ملك آخر في حرب لا يجلس أولاً ويتشاور هل يستطيع أن يلاقي بعشرة آلاف الذي يأتي عليه بعشرين ألفاً. وألا دام ذلك بعيداً يرسل سفارة ويسأل ما هو للصلح" (لوقا ١٤: ٢٨-٣٢).

هنا يشبه المسيح الحياة المسيحية ببناء أو محراب.

فمن العبادة البالغة أن يبدأ أحد ببناء برج ما لم يكن لديه المبالغ والأرصدة الكافية لا كماله وألا يبقى ذلك البرج الناقص رمزا لقصر النظر ونقص الحكمة. ما أصدق هذا في الحياة المسيحية! يسهل على الإنسان أن يقرر تسليم نفسه للمسيح في حماسة عاطفية أثناء حملة انتعاشية. لكن لا يسهل عليه بعد التسليم أن ينكر نفسه ويحمل صليبه كل يوم ويتبع المسيح فاعتناق المسيحية شيء والسير فيها بثبات ومواظبة شيء آخر! في عبارة عن طريق التضحية والاعتزال وتحمل الآلام لأجل المسيح سهل أن تفوز في السباق المسيحي بادئ ذي بدء ولكن هل تفوز إذا مارسته يوماً بعد يوم في الصحو والمطر، في الشدة والرخاء، في السراء والضراء.

يعرف العالم أن الحياة المسيحية أما أن تكلف كل شيء وأما لا تكلف شيئاً، لذلك فأهله يرقبوننا بعين ثابتة نافذة. المسيحي المكرس قد يهزأ به في بادئ الأمر، ولكن ما أن يلمس إخلاصه وولائه حتى يحترم ويقدر. وعلى عكس ذلك فهم يحطون من قدر من يدعي المسيحية ولا يطبق مبادئها بكل قلبه وقواه وكأنهم يقولون: "هذا الإنسان ابتداءً بيبي ولم يقدر أن يكمل، تجدد بعاطفة وحماسة وإرادة كلية. أما الآن فهو كواحد منا. لقد اندفع بأقصى سرعة وهاهو الآن قد توقف ونكص على عقبيه".

لذلك قال المخلص: يحسن بك أن تحسب النفقة.

أما المثل الثاني الذي ذكره المسيح فهو ملك أراد أن يعلن حرباً على ملك آخر. أقلم يكن من الضروري له أن يجلس أولاً ويقدر ما إذا كان بإمكانه أن يهزم بجيشه المؤلف من ١٠٠٠٠ جندي جيش العدو الذي يبلغ ضعف هذا العدد؟ أليس من الغباوة أن يعلن الحرب أولاً ثم يعد الجيش، عندما يكاد الجيشان أن يلتحما في الميدان! فما عليه والحالة هذه ألا أن يرفع الراية البيضاء ويرسل وفداً من قبله للتسليم قابلاً بانكسار وتذلل، كل الشروط التي يملها عليه خصمه.

وليس ثمة من مبالغة في تشبيهه الحيلة المسيحية بحرب. فهناك أعداء ألداء العالم والجسد والشيطان. هناك مشطات ومفشاتل ودماء جارية وآلام مريرة. هناك ساعات طويلة متعبة من الجهاد والنضال. وهناك ليل حالك تنتظر فيه النفس بزوغ النهار. هناك دموع وآلام وامتحانات قاسية. "أنا من أجلك مات كل النهار".

فكل من اعترم أن يتبع المسيح، عليه أن يتذكر جشماني، وجبائنا، الجلجثة. عليه أن يحسب حساب النفقة. فأما تسليم تام للمسيح، أو استسلام منزل للعدو.

بمذنين المتلین حذر الرب يسوع سامعيه من التسرع في التقدير بشأن التلمذة والانجراف بدافع النحمس العاطفي. ووعدهم صريحا بأنهم سيلاقون الاضطهاد والضيق والألم، فعليهم أن يحسبوا حساب النفقة.

ترى ما هي النفقة؟ يجيبنا على ذلك العدد التالي: "فكذلك كل واحد منكم لا يترك جميع أمواله لا يقدر أن يكون لي تلميذا" (لوقا ١٤ : ٣٣).

النفقة إذا هي "كل شيء" _ كل ما للإنسان، وكل ما في الإنسان هذا ما عنته النفقة بالنسبة للمخلص ولا يمكن أن تعني أقل من ذلك بالنسبة لتابعيه. فأن كان الغني الذي لا يستقصى غناه قد افتقر طوعا واختيارا، فهل ينتظر تلاميذه أن ينالوا الإكليل بنفقة أقل؟ ثم ختم الرب يسوع حديثه بهذه الخلاصة.

"الملح جيد. ولكن إذا فسد الملح فماذا يصلح. لا يصلح لأرض ولا لمزبلة فيطرحونه خارجا".

يبدو أن الملح، آنذاك، لم يكن من النقاوة مثل الملح الذي نستعمله اليوم على موائدنا. كان ملحهم مخلوطا بشوائب كالرمل وغيره. فكان ميسورا أن يفقد الملح ملوحته فيصبح بلا طعم وبلا فائدة، وإذ ذاك لا يصلح سمادا للأرض فلم يبق له سوى أن يطرح خارجا تدوسه الأقدام (متى ٥ : ١٣).

ومغزى المثل واضح. أن غرض المسيحي الرئيسي هو أن يمجّد الله بحياة يسكبها بتمامها أمامه. وقد يفقد المسيحي ملوحته إذا انصرف لجمع كنوز على الأرض أو سعى وراء راحة وملذاته أو هدف إلى اسم وصيت له في العالم أو يفسد حياته ومواهبه باستخدامها في عالم لا يستحقها.

فإذا أخطأ المؤمن هدف حياته الرئيسي فقد خسر كل شيء. ومصيره كالمح الذي فقد ملوحته: يداس تحت أقدام الناس متحملاً تعبيرهم وازدراءهم وسخريتهم.

وهذه كلمات المسيح الأخيرة:

"من له أذنان للسمع فليسمع".

اعتاد الرب يسوع المسيح أن يختم بهذه العبارة تعاليمه الصعبة، لأنه علم أنها تعاليم لا يقدر أن يقبلها الجميع وعرف أن بعض الناس سيحاولون تفسير كلامه بشكل يضع معناه أو يضعف حدة مطالبه.

لكنه عرف أيضا أن هناك قلوبا مفتوحة، تخضع لمطالبه وتستجيب دعواه عالمة أن الكلفة تساوي الربح_ ربح المسيح.

من أجل ذلك ترك الباب مفتوحا قائلا: "من له أذنان للسمع فليسمع".

والذين يسمعون ويحسبون النفقة ويصممون على اتباع يسوع لا يترددون في القول:

صممت أني اتبع يسوع اتبع يسوع بلا رجوع

ولو تركني كل خلاني اتبع يسوع بلا رجوع

العالم خلفي، يسوع أمامي اتبع يسوع بلا رجوع

١٢ ظل الاستشهاد

ليس للإنسان المكرس المسلم حياته للرب تسليمًا كليًا سوى هم واحد هو أن يتمجد المسيح في حياته. حتى أن الحياة والموت بالنسبة له سيان في سبيل هذا الهدف السامي.

أذا قرأت حياة جون وبني ستام تجد فيها نعمة النصره تكرر في الكتاب كله، تلك النعمة التي عبّر عنها بولس الرسول بقوله "الآن يتعظم المسيح في جسدي سواء كان بحياة أو بموت" (فيلبي ١: ٢٠).

وتجد هذه النعمة نفسها في كتابات جم البيوت، الذي وهو طالب في كلية هويتون، كتب في مفكرته يقول "أني مستعد أن أموت لأجل أكلة لحوم البشر". وكتب في وقت آخر، "أيها الآب، خذ حياتي، بل أيضا دمي إذا أردت، ولتلتهمه نار محبتك المضطربة. أني لا أريد أن استبقية لأنه ليس ملكي. خذه يا رب، خذه كله، واسكب حياتي كلها سكيبا لأجل العالم، فلا قيمة للدم ألا عندما يسكب على مذبحك".

وكثيرون من أبطال الله أدركوا هذه الحقيقة وتيقنوا أنه أن لم تقع حبة الحنطة في الأرض وتمت فهي تبقى وحدها. ولكن أن ماتت تأتي بثمر كثير (يوحنا ١٢: ٢٤). لقد كانوا يرغبون أن يكونوا حبة حنطة.

وهذا هو الموقف بعينه الذي أراد المسيح أن يعلمه لتلاميذه عندما قال لهم "فأن من أراد أن يخلص نفسه يهلكها ومن يهلك نفسه من أجلي فهذا يخلصها" (لوقا ٩: ٢٤). ونحن كلما فكرنا في هذه التعاليم تجلت لنا حقيقتها.

أولاً: أن حياتنا ليست ملكنا. أمّا ملك ذلك الذي اشتراها بدمه

الكريم. فهل نعلق بغيره لأن أنانيتنا تدفعنا إلى ذلك؟ أجاب عن هذا السؤال. "ستد" فقال

"عرفت شيئاً عن موت المسيح لأجلي ولكنه لم يدر بخلي أنه بذلك العمل اشترائني من آخر وهذا يعني أنني لم أعد لذاتي بل للذي اشترائني. وهو معنى الفداء. فدائني الرب بدمه لكي أكون له لا لذاتي ولا لأي شيء أو شخص آخر. فلم يبق لي إلا أحد أمرين أما أن أكون لصاً واحتفظ بذاتي لذاتي، أو أن أكون أميناً فأقدم كل شيء لله. ولما فهمت معنى موت المسيح لأجلي، لم يصعب عليّ أن أقدم الكل له"

ثانياً: سنموت كلنا، وقد نموت قبل المجيء الثاني للرب.

فأين المأساة أن نموت في خدمة ملك الملوك أو أن نموت موتاً عادياً بعيدين عنه؟ هل كان جيم اليوت على صواب عندما قال: "ليس غيباً من يقدم ما لا يستطيع أن يحتفظ به ليربح ما لا يمكن أن يفقده".

ثالثاً: أليس من المعقول أن نمون في سبيل من مات لأجلنا؟

أن كان العبد ليس أعظم من سيده، فأبي حق لنا أن ندخل السماء دون أن نتألم كما تألم هو؟ ولهذا قال "ستد" "أن كان يسوع المسيح وهو الله قد مات لأجلي، من تضحية يحق لي أن أبخل بما عليه".

رابعاً وأخيراً: من الأجرام أن نحفظ بحياتنا في حين لو بذناها طوعاً بدون تحفظ لفاقت بركات أبدية على أخوتنا في البشرية. فكم جاد الناس بحياتهم في سبيل بحث طي! وكم جاد آخرون بما لينقذوا

أعزاءهم من بيت مشتعل بالنار. وما زال يوجد كثيرون بجياهم في معارك حامية الوطيس لإنقاذ وطنهم من قوات الأعداء. فما هي إذا قيمة حياة الناس في نظرنا؟ هل نستطيع أن نقول مع "مايرز":

"أني أرى النفوس من بعيد مقيدة بالأغلال، بينما كان لها أن تظفر وتنتصر. وأرى الناس عبيدا وكان يجب أن يكونوا ملوكا، أراهم يشاركون بعضهم بعضا في أمل زائل مكتفين بمظهر الأشياء دون جوهرها".

فاندلعت في صدري نيران من الشوق، وانطلق صوت من أعماق نفسي كأنه بوق يناديني ويهيب بي أن أتقدم لإنقاذهم حتى ولو تعرضت في سبيل ذلك للموت! ليس مفروضا على الجميع أن يموتوا شهداء. قليلون فقط يستشهدون بالحرب أو بالمقصلة أو سواها، ولكن على كل منا أن يحمل بين جوانحه روح الشهيد وغيرته وولاءه. وعلى كل منا أن يحيا حياة أولئك الذين سكبوا حياتهم على مذبح الاستشهاد في سبيل المسيح!

١٣ مكافآت التلمذة الحقيقية

هناك مكافآت جزيلة للذي يسلم حياته تسليما تاما للرب يسوع. فنتيجة أتباعه الرب يحصل على الفرح والبهجة والشع وهي أمور يصبو إليها الإنسان الكامل. قال المخلص مرارا وتكرارا . "من أضاع حياته من أجلي يجدها" ولهذا القول أهمية كبرى وألا لما أوردته البشائر الأربعة (انظر متى ١٠ : ٣٩ و ١٦ : ٢٥ ، مرقس ٨ : ٤٥ ، لوقا ٩ : ١٤ و ١٧ : ٣٣ يوحنا ١٢ : ٢٥) ترى لماذا تكرر هذا القول بهذه الكثرة؟ أليس لأنه يقدم مبدأ من أعظم المبادئ الأساسية في الحياة المسيحية، ألا

وهو أن النفس التي تحفظ بها الإنسان لذاته يفقدها، أما الحياة التي يسكبها الإنسان لأجل المسيح، فهي الحياة التي يجدها، ويخلصها، ويتمتع بها، ويحفظها إلى حياة أبدية؟
بنس الحياة المسيحية إذا كانت فاترة مجزأة! وبورك بالحياة المكرسة تماما للمسيح فهي أضمن سبيل للتمتع بأفضل ما يعطيه المسيح.

والتلميذ الصحيح للمسيح يعتبر نفسه عبدا لسيده، ويجد في خدمته الحرية الكاملة. هناك حرية حقة للنفس التي تقدر أن تقول: "أنا عبد لسيدي". ففي هذه العبودية أجد الحرية التامة.

لا يعبأ التلميذ بالأشياء الصغرى النافهة ولا بالأمور الزائلة العابرة، بل يهتم بالأمور الأبدية. ويغيبط كما يقول هدسون تيلر بقلة همومه!

قد يكون التلميذ مجهولا لكنه معروف حتى المعرفة ومع أنه يموت باستمرار لكنه يحيا أيضا باستمرار! قد يكون مؤدبا لكنه غير مقتول. في حزنه يفرح، وفي فقره يغني كثيرين. فكأن لا شيء له وهو يملك كل شيء (٢ كورنثوس ٦ : ١٠ و ٩).

وكما أن التلمذة الصحيحة هي حياة الشيع والفضيلة في هذه الحياة، فكذلك لها أهبى المكافآت وأرغدها في الحياة القادمة. فإن ابن الإنسان سوف يأتي في مجد أبيه مع ملائكته وحينئذ يجازي كل واحد حسب عمله (متى ١٦ : ٢٧).

وبالتالي، فإن الإنسان السعيد حقا السعيد في هذه الحياة وفي الحياة الأبدية. هو الإنسان الذي يستطيع أن يقوم مع بوردن أفايل "أيها الرب يسوع أنا أتخلى تماما عن حياتي لتكون كلها تحت تصرفك. أني أتوجك على عرش قلبي، فغيرني، وطهرني، واستخدمني كما تشاء".

الخدمة العربية للكرافة بالإنجيل هي هيئة إرسالية مسيحية شغفها نشر كلمة الله في العالم العربي عبر الإنترنت وعبر وسائل إلكترونية أخرى. وتقوم بتوزيع الكتاب المقدس مجاناً للجالية العربية في أميركا الشمالية وبلدان العالم. بالإضافة إلى مجموعة من الأقراص المضغوطة التي تحتوي على كتب روحية، عظات، تراتيل والكتاب المقدس. للمزيد من المعلومات الرجاء الإتصال بنا.

يحفظكم الله ويملاً حياتكم بالصحة والسعادة والسلام.

أسرة الخدمة العربية للكرافة بالإنجيل